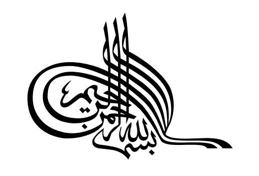
الحضــارة الإســلامية
وسطيتها وموقفها من الآخر

تأليــــف

السيـــد أحمـــد المخزنجـــي

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

أبيض



﴿الْحَمْدُ للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمـــنِ الـرَّحِيم ۞ مَالِكِ يَوْمِ الـدِّينِ ۞ إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ وإِيَّـاكَ نَـسْتَعِينُ ۞ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُـستَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّـذِينَ أَنعَمـتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

(سورة الفاتحة)

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

سورة البقرة، الآية/ ١٤٢

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾

سورة آل عمران الآيات (١٣٨ – ١٤١)

﴿قُـلْ أَرَأَيْـتُمْ شُرَكَـاءكُمُ الَّـذِينَ تَـدْعُونَ مِـن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَـاذَا خَلَقُـوا مِـنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُـمْ شِرْكٌ فِي الـسَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَـاهُمْ كِتَابـاً فَهُـمْ عَـلَى بَيِّنَـةٍ مِّنْـهُ بَـلْ إِن يَعِـدُ الظَّـالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً﴾

سورة فاطر ، الآية/ ٤٠

﴿أَوَلَمْ يَـسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُـرُوا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الَّـذِينَ مِـن قَـبْلِهِمْ وَكَـانُوا أَشَـدَّ مِـنْهُمْ قُـوَّةً وَمَـا كَـانَ اللَّهُ لِيُعْجِـزَهُ مِـن شَيْءٍ فِي الـسَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّـهُ كَـانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾

سورة فاطر ، الآية/ ٤٤

* روى مسلم وغيره، عن ثوبان، وشداد بن أوس، رضي الله عنهما، مرفوعاً: ﴿**إنَّ الله زوى لي الأرضَ فرأيتُ مشارِقهَا ومغارِبَها، وإنَّ أُمتي سَيبلغُ مُلْكَها مَا زَوى لي مِنها**﴾[1]

* وروى ابن حبان في صحيحه: ﴿**ليبلغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلاَّ أدخَله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر**﴾[2]

* وفي صحيح مسلم، عن النبيﷺ قال: ﴿**لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً**﴾[3]

---

(١) مسلم: ٨/١٧١، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، وأحمد
(٢) ابن حبان في صحيحه: ١٦٣١ - ١٦٣٢
(٣) مسلم: ٣/٨٤، أحمد ٢/٧٣، الحاكم ٤/٤٧٧

مُقَدِّمَة

إن منهج الباحث في الإسلاميات يتمثل في ضرورة النظر إلى العلم في العالم الإسلامي من حيث هو ظاهرة من ظواهر الحضارة الإسلامية، ومن ثم دراسة الظاهرة وفهمها في ضوء المعطيات والسمات الخاصة بهذه الحضارة.

ونظراً إلى أهمية الدور الذي اضطلع به العلم الإسلامي في تاريخ الفكر البشري، فإن كثيراً من الباحثين - على ما يبدو - قد عدّوا حقبة الإسلام في العصر الوسيط كما لو كانت مجرد تقبل أو تلقٍّ للتراث اليوناني وصيانة له وترويجاً لمؤلفاته، الأمر الذي دعا إلى التقليل من شأن الإنجازات التي حققها أعلام الإسلام آنذاك، وأدى إلى تشويه صورة العلم الإسلامي بكاملها.

وليس من شك في أن انتقال العلم اليوناني إلى العالم الإسلامي كان حدثاً مهماً في تاريخ الحضارة، كانت له نتائج واسعة بالنسبة إلى تاريخ التراث القديم من جهة وإلى تطور الفكر والثقافة الإسلاميين من جهة ثانية، وعلى النهضة الأوربية في القرن الثاني عشر وما تلاه من جهة ثالثة، ذلك أن الباحث إذا كان متخصصاً في الحضارة الإسلامية فإنه يصبح

معنياً بأثر هذا الحدث في الثقافة الإسلامية نفسها "فقد كانت كلمة "التلقي" هذه تعني عند بعض الباحثين، (في فترة تحول العلم اليوناني إلى المسلمين في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين).. فهما مفاده أن الحضارة الإسلامية آنذاك، ليست إلا وعاء أو مستودعاً للمعرفة التي كانت عند اليونان الأقدمين"[1]!! مع أن الأنسب لذلك هو اعتبار انتقال تلك العلوم إلى العالم الإسلامي بمنزلة عملية "احتضان" قام بها المسلمون من منطلق اهتمامهم بصيانة العلم اليوناني الذي لم يكن مفروضاً على المجتمع الإسلامي قسراً، ومن ثم يعد مصطلح "التلقي" في أحسن الأحوال مصطلحاً باهتاً ومضللاً في التعبير عن حركة علمية رادها علماء الإسلام، خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين. ولذلك يمكننا القول بأن النظر إلى الحضارة الإسلامية في تلك الفترة التاريخية على أنها مجرد وسيلة لنقل المعرفة فحسب، هو من قبيل الحكم عليها من الخارج لا من الداخل، أو الاكتفاء بالقشور من دون اللباب.

---

(١) العلم العربي في حضارة الإسلام، للدكتور عبدالحميد صبرة، ترجمة الدكتور عبدالله العمر، دار قرطاس للنشر، الكويت، ٢٠٠٠م، ص ١٥ ، ١٨ .

فلم تكن مهمة العرب المسلمن حينئذ محصورة في النقل، ولم يكن فضلهم يقتصر على حفظ الآثار اليونانية من شرقي أوروبا إلى غربيها ، بل لابد من الاعتراف لهم بالفضل العظيم في تنقية ذلك التراث اليوناني وتوجيهه الوجهة الصحيحة في مجال البحث العلمي.

فقد استخلص العرب المسلمون من مزجهم الثقافتين اليونانية والإسلامية فلسفة مستقلة ومتميزة، اتسمت بتقدير العلم والدين معاً، وعالجوا العلوم على اختلافها، وأضافوا إليها الكثير من الحقائق، وصححوا فيها الكثير من المعلومات، وأدخلوا على أساليب الدرس والاختبار والتجارب المعملية تحسينات جمة، خلصوا منها إلى جملة من الاستنتاجات والمكتشفات العلمية التي كانت مقدمة لكثير من التطورات العلمية التالية والحديثة، وقد كان دافعهم الإيماني في ذلك قول الله عز وجل ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[1] وكذلك قوله سبحانه ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَّ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**﴾[2] ولقد اعترف مفكرو اللاتين

(١) سورة الزمر ، جزء من الآية/٩

(٢) سورة فاطر ، جزء من الآية/٢٨

- بإقرارهم الصريح - بإفادتهم من مفكري الإسلام في ظل ازدهار الحضارة الإسلامية.

وكان إقبال علماء اللاتين على الفكر العربي والإسلامي، نتيجة لشعورهم بالحاجة إلى ما اشتمل عليه هذا الفكر من علم وفلسفة ، إذ كان قد نشأ في الكنيسة اللاتينية، بحكم التوسع العلمي والتطور الفكري، شيء من الاختلاف في وجهات النظر، حول بعض الاعتبارات الدينية، ولئن كان ذلك قد حدث مستقلاً عما جرى في الأوساط الإسلامية واليهودية، فإنه نشأ من المعضلة نفسها، وهي محاولة التوفيق بين العقل والنقل، أو بين العلم والدين، "لذلك حرص مفكرو اللاتين على الاستفادة من الأبحاث العربية والإسلامية، عندما وقعت بين أيديهم، وكان اعتمادهم أولاً على آراء المعتزلة، ثم أخذوا بشروح ابن سينا وابن رشد"[١]

ولعل أبلغ دليل على دحض النظرة غير المنصفة تجاه الحضارة العربية الإسلامية التي تتميز بالوسطية (كما سنفصل ذلك في صفحات هذا البحث)، ما نُشر حديثاً حول النظريات

---

(١) د. كمال اليازجي ، الموجز في مسائل الفلسفة الإسلامية ، مع بحث تمهيدي في حضارة العرب ونهضتهم العلمية في العصر الوسيط ، طبعة بيروت، ١٩٦٢م، ص ١٧٠

الفلكية عند علماء المسلمين، أمثال الطوسي وابن الشاطر "وإن التنبيه إلى أهمية ذلك قد بدأ من خلال اكتشاف الباحثين المعاصرين لأوجه الشبه بين تلك الأنظمة المبتكرة عند المسلمين وبين نظيراتها عند كوبرنيق"، ومن هنا تبلورت فرضية "احتمال أن يكون كوبرنيق قد تأثر بالسابقين عليه من علماء الفلك المسلمين"[1]. بل إن العالم البريطاني بريغوت وضع كتاباً عن تكوين الإنسانية، قرر فيه أن العلم هو أعظم ما قدمته الحضارة العربية الإسلامية إلى العالم الحديث، فلا توجد ناحية من نواحي النمو الحضاري إلا ويلاحظ الإنسان فيها أثر الحضارة والثقافة الإسلامية، وأن أعظم الآثار هو دفع الطاقة المحركة للتطبيق العلمي على الحياة، التي تعتبر عاملاً بارزاً في تقدم العلم الحديث، والمصدر الأعلى لانتصار الروح العلمية والتطبيق الطبيعي للعلوم الحديثة ووصلها مع الروح الإسلامية، وإن هذه الصلة كان سببها الدين الإسلامي دين

---

(١) أعيد طبع كثير من تلك البحوث في كتاب إي.س كنيدي وعماد غانم بعنوان: حياة ابن الشاطر ومؤلفاته،
E.S.Kennedy and "Imad Ghanim, the life and work, of Ibn al_Shatir (Alepo, ١٩٧٦). For additional literature see sabra, the Andalusian revold against Ptolemaic astronomy.. "(Ref.٢) ١٤٦,n.٥.

وانظر كذلك، العلم العربي في حضارة الإسلام، ترجمة د. عبدالله العمر، مرجع سابق، ص ٢٣ ، هامش رقم (٧) .

الواقع والحضارة".. وأضاف قوله": إن الزعم بأن أوروبا هي التي اكتشفت المنهج التجريبي زعم باطل وخال من الصحة "فالفكر الإسلامي هو الذي قال انظر وفكر واعمل وجرب حتى تصل إلى اليقين العلمي"[١].

وهذه الشهادة صحيحة تماماً تؤكدها مبادئ الدين الإسلامي وسيرة الرسول الكريم والسلسلة الكبيرة من العلماء العرب المسلمين الذين ظهروا في البلاد العربية والإسلامية .. فالقرآن الكريم بدأ بقوله تعالى ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾[٢]

إن ارتباط الحضارة بالدين سمة مميزة لحضارة الإسلام لا تشاركها فيه أية عقيدة أخرى سماوية كانت أو أرضية بشرية، ومن ثم تجدر الإشارة إلى ما يقول به (أسوالد اشبنغلر) المؤرخ الألماني المعروف في كتابه الشهير (تدهور الحضارة الغربية) "إن للحضارة دستوراً خلقياً يتمثل في العقيدة وقوة النفس،

---

(١) انظر أول بحث نشر في سلسلة الدراسات الحديثة حول هذا الموضوع لفكتوريا روبرتس، " نظرية الشمس والقمر: نظام فلكي كوبرنيقي سابق على كوبرنيق" See the first article to be published in the more recent research on this the solar and lunar theory of Ibn Al_Shatir. Apre_copernican Compemican "problem: vivtor model "٤٢٨_٣٢ (١٩٥٧) Roberts, Isis, Iviii، وانظر كذلك ترجمة د. عبدالله العمر المرجع السابق، ص ٢١/هامش رقم (٤)

(٢) سورة العلق، الآيتان/ ١ ، ٢

وتلازمه بساطة الظواهر، وأن الدستور الحضاري لا يعتمد العقل فحسب، بل يعتمد الوجدان، هذا الوجدان المتمثل في الشعور، وأن العقلانية الصرف - في شتى مذاهبها - هي فلسفة مدنية لا حضارية"(١)

ويتفق "فيهاري داس" أستاذ الفلسفة بجامعة سوجار بالهند مع اشبنغلر في هذا الرأي، حيث يذهب إلى القول بأن "الحضارة في جوهرها تقوم على الكائن البشري لا على الأشياء المادية، والناس هم متحضرون أو غير متحضرين وفقاً لبعض مزاياهم الروحية"(٢). وهذه الأصول الفكرية النفسية الروحية في الكيان الحضاري ضرورية لتكتمل منظومة الحضارة وتكون حضارة بحق". ويحرص المفكرون المسلمون المعاصرون على تأكيد هذه الحقيقة، فبناء الكيان الحضاري يقوم على أربع قواعد هي : الإيمانية/ الخلقية، والجمالية/ الفنية، والتقنية/ الصناعية، والثقافية العرفانية/ ، وباختلاف كل هذه العناصر وترتيب قواعد الكيان الحضاري تختلف الحضارات الإنسانية

---

(١) dey unter gang des abendiandes ترجمة أحمد الشيباني ، الجزء الأول، ط/بيروت ، ١٩٤٦م، ص ١٤

(٢) اللجنة الوطنية للتربية والعلم والثقافة - الثقافة الإنسانية وفلسفة التربية في الشرق والغرب - ندوة دولية نظمتها الأونسكو - تعريب أنطوان خوري - بيروت - ص ١٨- ١٩

ويكـون تميزهـا عـن سـواها "والمنطلـق الإيـماني في الحـضارة الإسلامية هـو مقومهـا الأول الـذي يـبرز مهيمنـاً عـلى بقيـة المقومات من فنية جمالية وتقنية صناعية وثقافية عرفانيـة "فهـو الذي يعطيهـا صـبغتها وسـموها ويجعلهـا حـضارة باسـقة في الأرض موصولة بالسماء"[1]، وصفتها الربانية هي التـي تمـدها بالقدرة على البقاء صاعدة وصامدة في الحالات التي تُقهر فيها على الانكماش والتوقف.

وتتميـز الحـضارة الإسـلامية بهـذه الخاصـية - خاصـية الـصمود والبقـاء- فلهـا خصائـصها الأصـلية الدائمـة وشخـصيتها الحركيـة الحيـة، فهـي وجـود واحـد لـه في نمائـه وتوقفه، وفي ومضه وغمضه، مراحـل وأطـوار مـن الازدهـار والانحـسار ولـيس مـن طبيعتـه أن يمـوت. "وهـذا هـو سر المواجهة العارمة المحتدمة التي تعرض لها الإسـلام في المعـترك الحضاري كثقافة خلقية، وبين غـيره مـن الـنظم والحـضارات المادية الملحدة"[2]

(١) عمر بهاء الأميري : الإسلام في المعترك الحضاري - مقال مجلة الفيصل - ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

(٢) القيم الحضارية في حضارة الإسلام ، للدكتور/ محمد فتحي عثمان، الدار السعودية للنشر، الرياض، ١٩٨٢م، ص٧

ويرى اشبنغلر - وهو على حق- أن المدنية الغربية اليوم مدنية تشيع الاضطراب والقلق في نفوس أبنائها، وقد أخذت ابتداء من عام ١٩٤٥ تنقل هذا القلق والاضطراب إلى الشرق العربي.. بل إن اشبنغلر يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يقول : "إن جميع الحضارات التي قامت في الشرق الأوسط - ماعدا الحضارة الفرعونية - هي حضارة عربية ... فاليهودية والمسيحية والزرادشتية والمتروية والنسطورية وجميع ما نشأ في منطقة الشرق الأوسط بكاملها وامتد حتى الصين وشمالي إفريقيا هي فروع من الحضارة العربية..."(١)

حضارة بلا ضمير:

إن المتتبع لنشوء الحضارة المعاصرة يجد أنها قامت ونشأت على جهود الملايين من البشر التعساء فتشكلت فطيرة الحضارة الرأسمالية المعاصرة بشكل مشابه "لفطيرة صهيون" المشهور الذي كان يحتاج إلى اللحم البشري في سبيل بناء ذاته!!

ومن ثم نشأت الحضارة الرأسمالية وبها شغف إلى اللحم من أبيضه إلى أحمره وأسمره وأسوده، "ففي بريطانيا - مهد الحضارة (المعاصرة) - لقي الملايين من التعساء حتفهم - أو

(١) اشبنغلر ، المرجع السابق ، ص ١٦ - ١٨، "بتصرف"

عاشـوا بـما يـشبه المـوت - في أقبيـة المـصانع وأمـام المكـائن (الآلات) التي كانت تعتصر منهم الدماء وتُذهب روح الحياة، فيهم لتخرجها على شكل دراهم أو دولارات لأولئك القابعين في قصورهم المنيفة وهم يرتشفون النبيذ الأحمر الـشبيه بالـدم، ويتحدثون عن عاطفة الرقة والمشاعر النبيلة!!

وعلى الجانب الغربي مـن الأطلـسي نجـد هـذه الحـضارة الإنسانية اتخذت المسار نفسه والمنطق ذاته وإن اختلفت الـسبل وتعددت الوسائل، وقد قامت على مـن أسـموهم بــ "الهنـود الحمر" وعلى أكتاف المخطوفين من أفريقيـا "وهـا هـو شـعب كامل قد أُبيد، تارة باسم المهمـة التاريخيـة الحـضارية للرجـل الأبيض، وتـارة باسـم التقـدم وتـارة أخـرى باسـم وتعـاليم المسيح، والسيد المسيح -عليه السلام- بريء من ذلك"[1]

وهـا هــي سـيدة عالمنـا المعـاصر (الولايـات المتحـدة الأمريكية) تُسيّج مناطق بكاملها على تخومهـا الجنوبيـة بكافـة شـعوبها ورجالهـا ونـسائها وأطفالهـا باسـم ضرورات الأمـن القومي، وتجعلها مستباحة الدم والعرض لـشركاتها العملاقـة

(١) عن الإنسان أتحدث - تأملات في الفصل الحضاري، تركي الحمد، دار المنتخب، بيروت ط/١/٢٠٠٠م، ص٤٧، ٤٨

وأجهزتها المتعددة، وهو ما يجعلنا نتساءل : بأي حق يجري كل ذلك وبأي منطق؟ ويؤسفنا أن نجيب قائلين : إن هذا يجري بمنطق حضارتنا المعاصرة (المزعومة) التي حولت التاريخ والعالم إلى بحيرة من الماء الآسن يأكل سمكه الكبير السمك الصغير!!

إن التاريخ يحدثنا عن حضارات عديدة وعريقة لمعت في الأفق في فترات مختلفة وفي أماكن عديدة من العالم، وقد أدت كل حضارة من تلك الحضارات الأدوار التي حُددت لها في تشكيل التاريخ الإنساني، أما حضارة الإسلام فإنها كانت أعرق وأكثر كمالاً، وظلت خالدة وباقية عبر العصور تقاوم دائماً وأبداً العبث والركود، وعوامل الإهمال والهجوم والإنكار والجحود.

وهذا التراث الإسلامي الخالد الماثل أمام العيان يحكي بعض جوانب الأمجاد الإسلامية بصورة تدعو إلى الإعجاب، ومن ثم فإن الحديث عن حضارة الإسلام الوسطية لا ينبغي أن يتصوره القارئ على أنه من قبيل التغني بالماضي الذي حفظه سجل التاريخ وطواه، وإنما حضارة الإسلام معاصرة دائماً، لما تحمله في ذاتيتها من عناصر القوة والأصالة المستمدة من سمات هذا الدين الإسلامي الحنيف الذي يحض على التفكير والعلم والعمل في كل زمان ومكان.

وإذا أردنا أن ندرس حضارة مـن الحـضارات فيجـب أن نبرز **أولاً**: كـل هـذه الجوانـب ـ بقـدر الإمكـان ـ في حركاتهـا التقدمية التي دفعت بها إلى الأمام، ثم نـدرس **ثانيـاً**: العوامـل التي تبين الأسـباب التـي أدت إلى وجـود فجـوة حـضارية أو تدهور حضاري، ونوضح **ثالثاً**: موقف الأجيال من كل هذا.

والذي لا شك فيـه أن الحـضارة العالميـة وتطورهـا عـبر مراحل تاريخ الإنسان ذاته ينظر إليها كنتاج لتفاعل حضارات مختلفة نشأت وازدهـرت في بقـاع مختلفـة مـن العـالم، "ولهـذا السبب أيضاً فإنه غالبـاً مـا ينظـر إلى الحـضارات عـلى أنهـا في اتصال دائم كحلقات السلسلة الواحدة[1]

ولعل مما يبرز وسطية الحضارة الإسلامية وكذلك موقفها من قبول الآخر (ليس أي آخر)، أنها انتقت من تلك العنـاصر ما لا يتعارض مع روحها وقيمها ومثلها، "وأصلحت منها مـا يتطلب الإصلاح والتعديل، ونبذت ما عدا ذلك من مـساوئ وانحرافـات لا يقرهـا الـدين والعقـل. "ثـم إن الحـضارة الإسلامية لم تقف عند حد الإفادة من الغير، وإنما أسهمت عن

(١) التراث والحضارة الإسلامية ، للدكتور / ماهر عبد القادر محمد ، دار النهضة العربية، بيروت ، (د.ت) ص ٥، ٦

طريق الخلق والإبداع والابتكار في الارتقاء ببناء الحضارة البشرية، فتوصل علماؤها إلى ما لم يتوصل إليه غيرهم من اكتشاف عناصر حضارية جديدة أَثرتْ الحضارة الإنسانية، وأضافت إليها على مر العصور والأجيال"[1]

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إن في القرآن الكريم ما يعتبر تسجيلاً صادقاً لكثير من الأحداث والوقائع عبر أزمان التاريخ الإنساني المختلفة، حيث تحدث عن (الآخر) أو "القوم" أو "الذين خلوا من قبل" مثل: عاد وثمود، وقوم لوط وقوم إبراهيم وقوم موسى وغيرهم.. تحدث عن عقائدهم وعباداتهم وعاداتهم وتاريخهم... وعِلل تدنيهم وأسباب كفرهم وانحرافهم عن منهج الله وطريقه المستقيم إلى الحد الذي يمكننا أن نجد فيه عرضا للحضارات الإنسانية كتبيان للفعل الإنساني والسنن والقوانين الاجتماعية التي أثبتت سقوطها، وبينت أسباب السقوط واستخدام ذلك وسيلة إيضاح لبيان أسباب السقوط والنهوض لتكون الأمة المسلمة – أمة الرسالة الخاتمة الشاهدة على الناس – على بينة

---

(١) دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، للدكتور/ سعيد عبدالفتاح عاشور، ذات السلاسل، الكويت، (د.ت) ص١٠

من الأمر ، فلا تنتقل إليها علل التدني ولا تنال منها أسباب السقوط، وصدق الله سبحانه وتعالى إذ يقول ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۞ هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[1] وقال تعالى ﴿**وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ**﴾[2]

إن هذا المسح الحضاري ، وهذا الشهود التاريخي الذي يقدمه القرآن للأمة الشاهدة على الناس، وهذا الوعي (بالآخر)، ومعرفة الخارطة الحضارية والفكرية والأنماط الحياتية التي لا بد أن يبصرها المسلم ليؤدي دوره في الشهادة والقيادة والرحمة بالناس على بصيرة ، هي جزء لا يتجزأ من بناء الوعي بالذات، بل هي جزء من عملية الوعي بدور الإسلام الحضاري الذي يؤكد وسطية الحضارة الإسلامية وقبولها للآخر على مدى حقب طويلة من التاريخ.

كما أن الوعي (بالآخر) يمكّن من تحديد المشترك الإنساني ويبين مواطن الخلل، ويحدد المداخل التي تمكن من الشهادة

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان/ ١٣٧ - ١٣٨

(٢) سورة إبراهيم ، الآية/٤٥

عليه، ويبقى بعد ذلك أن نتساءل: "هل كانت هـذه الحـضارة المتميزة المتفردة "تاريخيةً" نتيجة ظروف موقوتة معينـة مـضت أم تراها حضارة حية قابلة للتجدد والتطور والاستمرار، ليس فقط في عالم الأمل والتمني والفكر المثالي المجـرد، بـل في عـالم الواقع المحقق أيضاً؟"(١)

إن الإجابة عن السؤال المطروح تكمن في سمة (الوسـطية) التي يقوم عليها جوهر الحضارة الإسلامية وهويتها .. تلك التي تعني "العدل" المميز بـين ظلمـين والحـق الفـارق بـين بـاطلين والاعتدال بين متطرفين - ليس بالمعنى الأرسـطي الـذي يجعـل الفضيلة وسطاً بين رذيلتين، متصوراً وجود مسافة متساوية عـن يمين الفضيلة وأخرى عن يسارها تفـصل بيـنهما، وإنـما بمعنـى اشتمال الموقف الوسط على محاسن القطبين النقيضين مـن خـلال الجمع والتأليف بينهما في موقف واحد، أوسمة واحدة، هي سمة الوسطية الإسلامية، حيث تهدف تلك "الوسـطية" إلى "إيجـاد" الإنسان السوي والشخصية الإسـلامية الوسـط التـي تجمـع في

---

(١) انظر: عمر عبيد حسنة، تقديمه لكتاب: نحن والحضارة والشهود، ج/١، للـدكتور نعمـان عبـدالرازق الـسامرائي سلـسلة كتـاب الأمـة، قطـر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٣٤ - ٣٥

وحدتها ومنطلقاتها بين فضائل الدنيا والآخرة، وفضائل الدين والدنيا، وفضائل الفردية والجماعية معاً[1]

وبناء على ذلك فإن دارس الحضارة الإسلامية عليه أن يدرك تماماً أنه أمام **خط أساسي وسط يبدأ من أول تأسيس الحضارة إلى اليوم**، ليجمع فضائل الحضارات كلها في ضوء "المذهبية الإسلامية"، ويرفض التطرف مهما كان لونه واتجاهه سواء أكان ذلك التطرف عنصرياً أم دينياً أم عقدياً أم فكرياً.

ويؤيد ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال: ﴿خط رسول الله ﷺ خطاً مستقيماً وخط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن شماله فقال عن الخط المستقيم: هذا سبيل الله، ووصف الخطوط التي عن يمينه وشماله بقوله: هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾[2]، وكذلك ما روي عن مجاهد في معنى .. قصد السبيل "أي المقتصد منها بين الغلو والتقصير"[3]

---

(١) المذهبية الإسلامية، للدكتور/ محسن عبد الحميد ، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط/١/١٤٢٠هـ - ٢٠٠٢م، ص ٩٧

(٢) الآية كاملة ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة الأنعام ، الآية/ ١٥٣

(٣) الفوائد ، ابن القيم الجوزية ، ص ١٤١ ، والمرجع السابق ٩٦

ويقول ابن القيم رحمه الله: "**وضابط هذا كله عدل ، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط . وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة. بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه، ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك. وكذلك الأفعال الطبعية/ الشخصية كالنوم والسهر والأكل والشرب والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك، إذا كانت وسطاً بين الطرفين المذمومين كانت عدلاً وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصاً أو أثمرت نقصاً**[1]"

ومن هنا يخطئ صاحب كتاب (التراث والتاريخ) حيث يقول ما نصه: نحن لا نجد الوسطية بمعنى الاعتدال وعدم التطرف نهجاً محموداً ولا قيمة اجتماعية محبوبة في حياتنا العملية على المستوى الفردي أو الجماعي أو في العلاقات بين الأمم. ولا تمثل الوسطية بدهية عقدية ولا رمزاً شائعاً في اللغة، أو في الخطاب الاجتماعي ، من لم يتحل بها سقطت عنه عقيدته ، بل التطرف هو السمة الغالبة بين الرفض المطلق

(١) انظر : ابن القيم ، المرجع السابق.

والانصياع أو التبعية المطلقة، بمعنى: إما أنك معي أو ضدي صداقة مطلقة أو عداوة مطلقة(!!)

ثم يضيف قوله: "وقد وردت كلمة وسط ومشتقاتها في القرآن ست مرات فقط، لم تكن في أي منها إشارة إلى مبدأ للسلوك الخلقي الذي يدعو إلى التزام القصد والاعتدال في الاجتماع والحياة كقاعدة شرعية ارتكزت عليها بنية الاعتقاد[1]

وللرد على صاحب هذا الكلام ، فإننا نكتفي بإحالته إلى ما أوردناه وأثبتناه بالدليلين النقلي والعقلي في فصول ذلك الكتاب، ففيه ما يدحض خطأ فهمه ولربما سوء قصده في حقيقة "الوسطية" في مفهوم الحضارة الإسلامية، وهو المفهوم الذي اعترف به نفر غير قليل من الباحثين والمستشرقين، كما شهدوا للحضارة الإسلامية بسموها الخلقي بما لا يحتاج إلى لجاج القول في هذا السبيل.

وثمة خطأ علمي آخر وقع فيه كثير من الباحثين والمؤلفين المسلمين المعاصرين الذين يتحدثون عن الحضارة العربية الإسلامية الوسطية ، فقد اعتبروا فتوحاتها "غزواً" لأوروبا في

---

(١) انظر: التراث والتاريخ، تأليف شوقي جلال، دار سينا للنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م ، ص ٢٥

العصور الوسطى ، يتشابه مع "غزو أوروبا للشرق في القرن قبل الماضي"[1]، بل إن الدكتور حسين مؤنس ـ رحمه الله ـ يقول في كتابه (الحضارة) ما نصه: "وأبرز مثل لغزو ثقافي فكري هو ما حدث عند قيام الإسلام وخروج العرب من جزيرتهم لنشره في نواحي الأرض، فقد قامت الدعوة له على أساس القرآن، فانتشر الإسلام وانتشرت اللغة العربية معه.."[2]!!

وهذا مثل ثالث يقول به الدكتور ميشال جحا في مقدمة كتابه (الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا) إذ يرى أن "فتح" العرب للأندلس في بداية القرن الثامن للميلاد، هو "احتلال" بقوله ثم "احتلالهم" (أي العرب المسلمين) لجزيرة صقلية وجنوبي إيطاليا فيما بعد، فهو يعتبر أن الحروب الصليبية التي جاءت بعد ذلك إلى المشرق العربي ومكثت فترة قرنين من الزمان ، هي بمثابة "الثأر" الذي رده الصليبيون للعرب ، وقد ترتب على هذه الحروب ـ كما يقول ـ تلاقح فكري كبير"[3]!!

---

(١) انظر: مظاهر الثقافة الإسلامية وأثرها في الحضارة، تأليف: محمد فائز القصري، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، (بدون ناشر)، ص ٢٢

(٢) الحضارة، للدكتور/ حسين مؤنس، مرجع سابق، ص ٦٢

(٣) الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، للدكتور/ ميشال جحا ، معهد الإنماء العربي - بيروت - الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م، ص٥

وللرد على هذه المزاعم والأخطاء العلمية والتاريخية الفادحة التي تقدح في (وسطية) الحضارة الإسلامية العربية، وتقدح في الدين الإسلامي نفسه وفي أهدافه وغاياته في تلك البلاد كافة، فإننا نشير إلى ما يقوله الدكتور كمال اليازجي في كتابه بعنوان "الموجز في الفلسفة الإسلامية.." وقد جاء فيه ما نصه: "لم يكن فتح المسلمين للبلدان المجاورة فتحاً عسكرياً فحسب، بل كان فتحاً دينياً ولغوياً في وقت واحد، فقد حرص المسلمون العرب على نشر الإسلام، وتعليم العربية حيثما حلُّوا، فكان ذلك داعياً لقيام حركة فكرية منتجة، فالانتصارات الحربية دفعت الرواة إلى تدوين أخبارها، وتعليم الدين دعا إلى تفسير القرآن وتبين أغراضه، تارةً بالاستناد إلى الحديث المروي عن النبي ﷺ، وتارة أخرى بالاعتماد على القياس والرأي.

وهكذا أدت الفتوحات الإسلامية ودخول عدد كبير من الشعوب والأقوام في دين الله، وانضواؤهم تحت لواء الدولة الإسلامية الفتية إلى اتصال الفكر الإسلامي الأصيل بعدد من الثقافات والحضارات المتقدمة في الهند وفارس من ناحية، وفي شمال أفريقيا من ناحية أخرى وتأثره بهذه الثقافات، وذلك

علاوة على العناصر السامية القديمة، ثم الثقافات الهلينية التـي عرفها المسلمون عن طريق الترجمة[1]

والواقع أن الإسلام قد أثبت خلال هذه القرون الأربعـة عشر قدرته على التطور والتشكل والمرونة على رغم كل ما قـد يقال عكس ذلك، ولولا هذه المرونة لما أمكن له أن ينتشر هـذا الانتشار بين شعوب مختلفة وثقافـات متباينـة، بحيـث أصـبح يدين به أكثر من مليار ومائتي مليون مـسلم ينتمـون إلى عـدد كبير جداً من السلالات والأعراق والقوميات، وأن المـسلمين ينتـشرون الآن في كـل بقـاع العـالم، وإن كـان تركـزهم يبـدو واضحاً في المنطقة الممتدة من المغرب حتـى باكـستان وماليزيـا وإندونيسيا. وعلى الرغم مـن أن العـالم الإسـلامي يـضم كـل الشعوب المختلفة المتفاوتة فإنه كان يؤلف دائماً وحدة متمايزة ، وإن كان يعتريها أحياناً شيء من الضعف والـوهن. "ذلـك أن الإسلام يؤلف حـضارة أو ثقافـة دينيـة متكاملـة ، تمـد تلـك المجتمعات التي ينتشر فيهـا بعنـاصر تماسـكها وتوحـدها، ولم يمنع ذلك كله من أن هذه الثقافـة الإسـلامية المتميـزة كانـت

---

(١) مقال د. أحمد أبو زيد (التمهيد)، مجلة عالم الفكر، (عدد خاص) عن الفكر الإسلامي، وزارة الإعلام ، الكويت، المجلد السادس، العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر ١٩٧٥م، ص ١٦

تتخذ دائماً أشكالاً وصوراً تختلف باختلاف المجتمعات التي تعيش فيها[1]، أي أنها لم تكن أبداً ثقافة جامدة تحاول أن تصب المجتمعات والشعوب التي تنتشر فيها في قالب واحد، ومن هنا نشأت تلك الاختلافات والفوارق الإقليمية الواضحة بين مختلف جوانب حياتهم، ونتج عنها صور مختلفة من التطبيقات في تلك الثقافة الإسلامية.

والحق أن الكثير مما نعانيه اليوم يرجع إلى أننا تركنا الثقافة الغربية تغزو ثقافتنا، حاملة معها قيماً valus جديدة تحاول أن تحل محل قيمنا، فكانت النتيجة أن اختل ميزان القيم عندنا، وتعرضنا لهزات اجتماعية عنيفة لا تحمد عقباها".

ومن ثم فلابد أن ندرك جيداً أن ثقافتنا العربية الإسلامية هي "نحن" وقيمنا الاجتماعية والأخلاقية هي من صنع تاريخنا وحضارتنا التي هي أوفق ما تكون لنا، ذلك أن الغزو الثقافي الغربي في كثير من جوانبه وأهدافه قد يشوه نقاء ثقافتنا ويخلخل إيمان الكثيرين ممن لا يملكون وعياً كافياً. وإذا كانت أوروبا – اليوم – تخشى على ثقافتها من الثقافة

---

(١) د. أحمد أبو زيد ، مجلة عالم الفكر، المرجع السابق، ص ٥

الأمريكية، فنحن أولى بهذا الخوف والحذر بالاهتمام بالمحافظة على ثقافتنا وملامحها والتمسك بقيمها.

خلاصة القـول: إن الحـضارة الإسـلامية ليـست بحاجـة لإثبات وسطيتها وقبولها للآخر، وإنـما المـسلمون هـم الـذين بحاجة - اليوم - إلى التمسك بقيم هذه الحضارة، والإخلاص لمبادئها والإيمان الصادق بدينها السمح الخـاتم، إيمانـاً يجعلهـم بمنزلـة "قـرآن يمـشي عـلى الأرض"، فيعـزّون ويـسودون ويتقدمون، كما كان شأن أجدادهم وأسلافهم في القرون الأولى من صدر الإسلام.

والله ولي التوفيق ،،

المـؤلــف

الكويت - رمضـــان ١٤٢٨ هـ ،الموافق أكتوبر ٢٠٠٧م

أبيض

الفصل الأول

معنى الوسطيــة ومفهوم الحضـــارة

نعــرض في البدايــة لتعريــف معنــى الوســطية لغــة واصطلاحاً، وسنتخذ من هذا التعريف منهجاً أساسياً لمعالجـة القـضايا والمـشكلات التـي تتـضمنها المحـاور الرئيـسية لهـذا الكتاب، وذلك على النحو التالي:

(أ) معنى الوسطية لغـةً :

بينت المعاجم اللغوية معنى الوسطية وعرَّفت بهـا، فعنـد ابن فارس – العلامة اللغوي – أن: "الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل عـلى: العـدل والنـصف وأعـدل الـشيء أوسـطه ووسَطَهُ"[1]

و(الوسط) .. يقال: شيء وسط: بين الجيد والرديء ، وفي القرآن الكريم ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾[2] أي: عـدولاً

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، كتاب الواو باب (الواو والسين) ١٠٨/٦ - نقلاً عن: الوسطية في القرآن الكريم ، للدكتور على محمد الصلابي ، ص ١٣

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية/ ١٤٣

أو خياراً. وهو من وسط قومه أي: من خيارهم.[1] وهذه اللفظة نجدها لا تخرج في أي وضع عن معاني: العدل والفضل والخيرية، والنصف والبينية، والمتوسط بين الطرفين فنقول: (وَسُوطاً) بمعنى المتوسط المعتدل، ومنه قول الأعراب: "علمني ديناً وَسُوطاً لا ذاهباً فُرُوطاً ولا ساقطاً سُقوطاً، فإن الوسُوط هاهنا المتوسط بين الخالي والتالي"[2]

(ب) معنى الوسطية في الشرع :

وقد وردت مادة (وسط) في القرآن الكريم في عدة مواضع بتصاريفها المختلفة، حيث ورد لفظ (وسطاً) و (الواسطي) و (أوسط) و (أوسطهم) و(وسطن) كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾[3] وقال الإمام الطبري – رحمه الله – في معنى الآية: "... وأرى أن الله، تعالى ذكره، إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلوٍّ فيه، كغلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ٣، ج/٢، مادة (وسط)، ص ١٠٧٣

(٢) لسان العرب، لابن منظور، فصل الواو، باب (وسط): ٤٣٠/٧، وانظر كذلك، الوسطية..، م.س.ذ، ص ١٥

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية/ ١٤٣

قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، كتقصير اليهود الذين بـدلوا كتاب الله ... ولكنهم (أي المسلمين) أهـل توسـط واعتـدال، فوصفهم بذلك، إذ إن أحب الأمور إلى الله أوسطها"[1]

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّـةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُـهَدَاء عَـلَى النَّـاسِ وَيَكُـونَ الرَّسُـولُ عَلَـيْكُمْ شَهِيداً**﴾[2]، يقول تعالى في المعنى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، واخترناها لكم ، لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا ـ يوم القيامة ـ شهداء على الأمم، لأن الجميـع معترفـون لكـم بالفضل ، والوسط هاهنا: الخيار والأجود، كما يقـال: قـريش أوسط العرب نسباً وداراً، أي : خيرهـا، وكـان رسـول الله ﷺ وسطاً في قومه، أي أشرفهم نسباً)[3]

ويستند القائلون بأن الوسطية هي خصوصية الإسلام إلى الآية القرآنية ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَـطاً لِّتَكُونُـواْ شُـهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[4]

---

(١) الوسطية .. المرجع السابق ، ص ١٨
(٢) سورة البقرة، جزء من الآية/ ١٤٣
(٣) تفسير ابن كثير ، المجلد الأول ، ط / الرسالة ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨
(٤) سورة البقرة، جزء من الآية/ ١٤٣

وفي معجـم ألفـاظ القـرآن الكـريم[1] في مـادة وسـط نقـرأ مـا يـلي: وسـط الـشيء يـسطه وسـطاً وسـطة كـان بـين طرفيه. والأوسـط اسـم تفـضيل مـن وسـط ويـأتي في معنـى الأقـرب إلى الاعتـدال والقـصد، والأبعـد عـن الغلـو في الجـودة والـرداءة ونحوهمـا، ويـأتي في معنـى الأفـضل إذا كـان أوسـط الـشيء محميـاً مـن العـوارض التـي تلحـق الأطـراف ﴿**قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ**﴾[2] أي قـال أفـضلهم رأيـاً، وكـذلك الآيـة ﴿**فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ**﴾[3]

ويمضي المعجم قائلاً :"الوسـط للـشيء مـا بـين طرفيـه" ويستعمل الوسط في الفضائل إذا كانت وسطاً بين الرذائل ، ثم جعل وصفاً للمتصف بالفضائل ، فصار معناه الخير الفاضـل، ويقال رجل وسط، وأمة وسط" أي أمة خـيرة ومفـضلة عـلى

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية ـ مجلد / ٢ ط ٢ ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠م

(٢) سورة القلم ، الآية/ ٢٨

(٣) سورة المائدة ، جزء من الآية/ ٨٩

غيرها من الأمم. والوسطية في مجـال الفكـر تعنـي: "احـتلال موقع وسط بين طرفين متناقضين"[1]

ومـن ثـم يبـدو واضـحاً أن المقـصود بالوسـطية لـيس الاعتدال (فقط)، بل بمعنى الأجود والأشرف، وأن الـشهادة في معنى الآية الكريمة من سـورة البقـرة رقـم ١٤٣ تعنـي أن المسلمين يكونون ـ بإســلامهم ـ رقبـاء عـلى الأمـم الأخـرى لأنهم بهذه الصفة إنما يكونون الخيـار الأجود ﴿**كُنتُمْ خَـيْرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنكَـرِ**﴾[2]، ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَـطاً لِّتَكُونُـواْ شُـهَدَاء عَـلَى النَّـاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[3]

ونخلص من ذلك إلى أن كلمة (وسط) تستعمل في معـانٍ عدة أهمها:

١- الخيار والأفضل والعدل .

٢- لما كان بين الجيد والرديء والخير والشر .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٢١ ، ٢٨
(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية/١١٠
(٣) سورة البقرة، جزء من الآية/ ١٤٣

٣- قد ترد لما كان بين شيئين متناقضين، فتكون بمعنى (الوسط) المتميز عنهما[1]، أو البعيد عن الميل أو التطرف لأي منهما ومن هنا "استقر عند العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة (وسط) أرادوا معاني الخير، والعدل والجودة، والرفعة، والمكانة العلية"[2]

ونحن نختار المعنى الأول وهو : الخيار والأفضل والعدل لمطابقته منهجنا وهو (المنهج المقارن) في هذا البحث، بين قيم وملامح حضارتنا الإسلامية، وسمات الحضارات الأخرى، ولاسيما الحضارة الغربية المعاصرة، لنثبت من خلال ذلك "المنهج" خصائص وسمات الحضارة الإسلامية (وسطيتها) وما تتمتع به من سموق وتمايز كبيرين بين الحضارات الأخرى في هذا العالم، وذلك على التفصيل التالي:

تعريف عام للثقافة :

لعل الثقافة هي أوسع وأعقد مفهوم بين المفاهيم المستخدمة في العلوم الاجتماعية التاريخية، لكونها تتضمن

---

(١) قرب من هذا المعنى: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ١٠٧٣

(٢) الوسطية في الإسلام ، رسالة ماجستير ، للباحث/ فريد عبد القادر، بجامعة الإمام محمد بن سعود ، المملكة العربية السعودية، ص ١٠

مجموعة من الدلالات، بحسب المجال أو المجتمع الذي تنتمي إليه أو تصب فيه ، فليس ثمة تعريف "جامع مانع" - كما يقولون - لكلمة "ثقافة"(١)

ذلك لأن لكل "جماعة" ثقافتها الخاصة، وعادة ما يكون "الفرد" عضواً في أكثر من جماعة، بل في جماعات تتسم بالاختلاف الشديد فيما بينها، حيث يكون منها ما يُصَنَّف طبقاً للنوع أو العرق أو اللغة أو الطبقة أو الجنسية وغير ذلك، ومن ثم فإن الفرد قد يشارك في العديد من "الثقافات"(٢) ومن المؤكد أن سلوكيات الناس في مختلف بقاع العالم أو مختلف

---

(١) أورد الكاتب / علي علي آل موسى في كتابه بعنوان: " ثقافة الإسلام وثقافة المسلمين - الاتصال والتقاطع أو الانفصال والقطيعة؟! أكثر من اثنين وعشرين تعريفاً لمصطلح الثقافة، ولكنه يشير إلى أن هذا المصطلح - عبر مساره التاريخي - تجاوز المعاني اللغوية التقليدية عند القدماء، بحيث عدت دلالته الراهنة شمولية واكتسب سعة في المعنى. واختلف علماء التربية والاجتماع وغيرهم في تعريف (الثقافة) تبعاً لاختلاف تخصصاتهم ووجهات نظرهم.

- انظر للمزيد والتفصيل لتلك التعريفات : "كتاب البصائر" - سلسلة كتب ثقافية، تصدر عن مركز الدراسات والبحوث الإسلامية - لبنان - بيروت، الكتاب الأول: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٦ - ٣١

(٢) ثقافة العولمة - القومية والعولمة والحداثة ، إعداد / مايك فيذرستون، ترجمة / عبدالوهاب علوب، سلسلة الفكر، مشروع (القراءة للجميع - مكتبة الأسرة) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٣٣ من مقال بعنوان: "الثقافة كمعترك أيديولوجي للنسق العالمي الحديث، بقلم/ عمانويل فالرشتاين.

العصور أو الديانات أو الجماعات اللغوية، تتباين فيما بينها بطرق يمكن تحديدها وملاحظتها بسهولة[1]

وبهذا المعنى تعتبر الثقافة أسلوباً لتلخيص الطرق التي تُميز الجماعات بعضها عن البعض الآخر.

ومن ناحية أخرى فإن مصطلح الثقافة يستخدم أيضاً للدلالة على الاختلافات الثنائية المتعددة، خاصة وأن مناقشة الثقافة بصورة عامة وتعريفها بصورة خاصة له رصيد كبير من الكتابات، تراكم على مدى القرنين التاسع عشر والعشرين الماضيين.

ويميِّز البعض بين تعريفين للثقافة، **التعريف الأول بأنها**: مجموعة الخصائص التي تميز جماعة عن أخرى، **والتعريف الثاني بأنها**: مجموعة من الظواهر التي تختلف عن

(١) من يسافر من النرويج إلى إسبانيا مثلاً يلاحظ أن مواعيد ازدحام المطاعم لتناول وجبة العشاء تختلف كلية في البلدين، ومن يسافر من فرنسا إلى الولايات المتحدة يلاحظ أن تكرار دعوة الغرباء للزيارة المنزلية متباين تماماً. ولا شك في أن طول ملابس النساء في البرازيل يختلف اختلافاً بيناً عنه في إيران، وهكذا. ولم نورد هنا إلا عناصر مما يعرف بالسلوك اليومي. ولو طرحنا المزيد من القضايا الميتافيزيقية فمن اليسير أن نضع أيدينا على الاختلافات بين الجماعات كما نعرف جميعاً وهكذا، فالاختلافات واضحة، وهو ما يعنيه مفهوم الثقافة (التعريف الأول).

- (المقال السابق) ، المرجع السابق، ، ص ٣٦ (بتصرف) .

غيرها، داخل أية جماعة أو مجتمع من المجتمعات الإنسانية بوجه عام.

وغالباً ما يقال إن الدولة لها ثقافة قومية، ويقال إن القبائل أو الجماعات العرقية لها ثقافة. وقد نقرأ عن ثقافة للمثقفين الحضر أو "فقراء الحضر"، وقد نقرأ عن "ثقافة" "الشيوعيين" أو "الأصوليين الدينيين". وما يجمع بين هذه "الجماعات" التي يفترض أن لها "ثقافة" (التعريف الأول دائماً) هو أن لديها نوعاً من الوعي بالذات (وبالتالي الإحساس بالحدود) أو نمطاً مشتركاً من التكيف الاجتماعي يرتبط بنسق "الدعم" قيمها أو سلوكها المفترض، ونوعاً من التنظيم. وقد يتخذ هذا التنظيم شكلاً رسمياً تماماً كما في حالة الدولة القومية، وقد يكون غير مباشر كالصحف المتداولة والمجلات مثلاً والهيئات التطوعية التي تعمل كشبكات اتصال بين "مثقفي الحضر".

وليس كل "الأعضاء" المنتمين إلى أي من هذه الجماعات يتصرفون بصورة متشابهة فيما بينهم، وما يمكن ترجيحه هو وجود علاقة مهمة بين "عضوية" الجماعة وسلوك معين أو تفضيلات قيمية أو شيء من هذا القبيل.

وعلى أية حال، فلو نظرنا إلى مختلف تعريفات مفهوم الثقافة التي أوردها معظم علماء الاجتماع، لوجدنا أنها لا تخرج في خلاصتها عن القول بأن الثقافة هي "تلك المعايير المشكلة لنظام العقل والسلوك"[1] في مجتمع ما، أو لدى جماعة ما، والتي تحدد نظرة الفرد والجماعة لنفسها وللآخرين، وللكون من حولها، وبالتالي طبيعة السلوك. بمعنى ، أن الثقافة هي إجابة لسؤال الفرد عن كيف ولماذا وإلى أين أي الغاية من الوجود. وكل ذلك يسم نشاط الفرد والجماعة بميسمه (الفن، الأخلاق، العرف، قواعد الأدب، العلاقة بين الفرد والجماعة، الفرد والسلطة، الجماعة والسلطة، إلخ). فالثقافة في خاتمة التحليل، هي التي تقف وراء النشاط الحضاري للإنسان، وهي التي تجعل الحضارات الإنسانية يختلف بعضها عن بعض نتيجة اختلاف المعايير أو القيم (الثقافية) المحددة للنشاط الإنساني عامة. "فقدرة الإنسان على صنع ثقافة وإنشاء حضارة، هي ما يميزه عن الكائنات الأخرى، وهذا هو الجانب الإيجابي من المسألة[2]

(١) الثقافة العربية في عصر العولمة، تركي الحمد، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط/٣/٢٠٠٣م، ص ١٥، ١٦ "بتصرف"
(٢) د. تركي الحمد ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

فالثقافة تجعل من الحضارات أو المدنيات (Civilizations) أشكالاً مختلفة، على رغم أن جوهرها واحد. فإذا كانت "المؤسسة" واحدة في بنية كل حضارة، فإن أسلوب عملها وغايتها يتحددان وفقاً للثقافة السائدة في هذا المجتمع أو ذاك. فمؤسسة الزواج، أو المدرسة أو المعبد مثلاً، نظم موجودة في كل حضارة، قديمة وحديثة، ولكن كيف يتم الزواج وما هي طقوسه، وماذا يدرس في المدرسة وما هي الغاية، ومن يعبد في المعبد وكيف يتم ذلك، إنما يتحدد كل ذلك وفقاً لثقافة الجماعة وقيمها ومبادئها العقدية والاجتماعية أيضاً، "ورغم أن الثقافة عنصر من عناصر الحضارة أو المدنية، إلا أن هذا هو الذي يفرقها أو يميزها عن بقية الأشكال الأخرى في كل حضارة من الحضارات الإنسانية عامة"[1]

إن ما ذكرناه هنا هو **التعريف العام للثقافة** لدى كثير من العلماء والباحثين، وهو يخلص إلى التمييز بين نوعين لمفهوم الثقافة، الأول: بوصفها مجموعة الخصائص التي تميز جماعة عن غيرها، والثاني: بوصفها مجموعة الظواهر المادية أو المعنوية لكل جماعة أو أمة من البشر في مجتمع من المجتمعات الإنسانية.

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢

وقبل أن ننتقل إلى **تعريف الحضارة عامة وبيان الفرق بينها وبين الثقافة عند من يفرق بين هذين المصطلحين أو التعريفين، نعرض الآن لتعريف الثقافة الإسلامية وخصائصها، وكيف أن هذا التعريف مرادف لمفهوم الحضارة**، وذلك على النحو التالي:

تعريف الثقافة الإسلامية وخصائصها :

ثمة تعريف للثقافة الإسلامية يقول: "إنَّ الثقافة الإسلامية هي علم معرفة مقومات وخصائص الأمة المسلمة، والمصادر التي تستمد منها هذه المقومات، ثم دراسة التصورات الكلية والمستجدات والتحديات المتعلقة بالإسلام والمسلمين بمنهجية شمولية مترابطة"[1]

وميزة هذا التعريف أنه يعني : استخلاص المضامين العامة والرؤية الكلية الشاملة لمختلف موضوعات الثقافة الإسلامية ، من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الصحيحة، والفكر الإسلامي ، ووضعها في أطر كلية متكاملة ومترابطة. ويقوم هذا العنصر على ربط الجزئيات المتجانسة في موضوع واحد، وجمعها وتوحيدها في صورة متكاملة.

---

(١) دراسات في الثقافة الإسلامية للدكتورين: محمد عبدالسلام وأحمد السالوس، مكتبة الفلاح، الكويت، ط/١/١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م، ص ١٢

أمـا المنهجيـة التـي يـشير إليهـا هـذا التعريـف فتعنـي : المحاولات العلمية والقواعد والمحاور المنظمة التي تقـوم عليهـا دراسة مسائل وحقائق وموضوعات الثقافـة الإسـلامية ، حتـى تصبح علما مستقلاً له كيانه القائم بذاته. فالمنهجية هي التي توجه مسيرة هذا العلم للوصول إلى بنائه وتأسيسه وكينونتـه، فجـوهر العلم يكمن في دقة المنهج وإحكامه، ثم في اختيـار الموضـوعات التي تدرس تحت هذا المنهج اختياراً متكاملاً ودقيقاً.

وأمـا الـشمولية المترابطـة ، فتعنـي ـ في هـذا التعريـف ـ "الدراسة التي تأخذ الإسلام "كلا متكاملاً" من جميع جوانبه، في وحدة لا تتجزأ، منـسجماً في كـل جوانبـه وقيمـه وأحكامـه ومظاهره كمذهبية متماسكة"[1]. وبمعنى آخـر هـي "الدراسـة المتكاملة لموضوعات الإسلام ونظمه وتـصوراته تجـاه الكـون والإنسان والحياة، بـصفتها كـلا مترابطـا، في وحـدة تامـة، لا تضارب بينها ولا تعـارض، واسـتمدادها جميعـاً مـن العقيـدة الإسلامية، وربطها برباط وثيق.

فالعقيدة الإسلامية تعترف بالكتب السماوية كلها، حيـث يأمر الإسلام بالإيمان بكل كتـاب أنزلـه الله عـلى رسـول مـن

---

(١) مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها ، د. محسن عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ١٩

رسله ، وكما أنه لا بد للإنسان ـ إذا أراد لنفسه الإسلام ـ أن يؤمن بكل واحد من الأنبياء والرسل، فكذلك لا بد له من الإيمان بكل كتاب أنزله الله ﷻ على رسله، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] وقوله ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[2] وقوله: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[3] وقد ورد في القرآن أسماء بعض الكتب السماوية.

ومن ثم يمكن القول: " إن مفهوم الثقافة مرادف لمفهوم الحضارة، حيث يعني كل منها، كل معرفة عملية أو نظرية تقوم على التجربة أو الفكر، وتهدف إلى رقي الإنسان وتقدمه في استخدام أساليب الحياة العملية، أو في تقديم تصور حقيقي

---

(١) سورة البقرة، الآيتان/ ٤، ٥

(٢) سورة البقرة ، الآية/٢٨٥

(٣) سورة البقرة ، الآية/ ١٣٦

لأمور الكون النظرية، أو في تقويم سلوكه وتصرفاته، في ضوء معطيات النصوص القرآنية ومقررات الإسلام العامة"[1]، وعليه فكل ثقافة حضارة، وكل حضارة ثقافة.

وقد قارن ابن خلدون بين البداوة والحضارة، وتوصل إلى أن الحضارة والمدنية هي المرحلة التي يرتقي إليها الإنسان في أحواله وعلومه وعوائده وصناعاته، هذه المرحلة هي التي ينتقل فيها الإنسان من البداوة إلى الحضارة، وفيها يتوسع في الرفاهية والغنى، ويركن إلى الدعة والسكون، ويستكثر من الأقوات والملابس، ويتوسع في البيوت واختطاط المدن والأمصار، ويتأنق في المطاعم والملابس، ويبلغ في إتقان الصنائع كل مبلغ، والحضارة عنده نهاية العمران[2] وتطلق الحضارة والمدنية اليوم على الحصيلة الكلية التي تبلغها كل أمة في الرقي العلمي والفني، والأدبي والاجتماعي، وهذا لا يبعد كثيراً عما قرره ابن خلدون.

(١) الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، للدكتور/ شوكت محمد عليان، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، ط/١٤١٦/٢هـ - ١٩٩٦م، ص ٢٩
(٢) مقدمة ابن خلدون، طبعة بيروت ، ص ٢١٠ وما بعدها.

الفرق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات :

من العرض السابق يظهر لنا الفرق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات، "فالثقافة الإسلامية منضوية في حال استقامتها تحت تعاليم الإسلام، فالإسلام هو الذي يشكل قيم الأمة الإسلامية، ويصوغ عقولها وتصوراتها وعقيدتها، ويبني نفوس أفرادها، ويصلح قلوبهم، ويوجههم الوجهة الصالحة في الحياة، ويعرفهم بالخير والشر، والحق والباطل"[1] ومن أهم سمات الثقافة الإسلامية أنها ثقافة إيمانية بالنظر إلى مصادرها الأساسية، وأنها ثقافة أخلاقية، بمعنى أنها لا تفصل بين القيم وبين السياسة والاقتصاد والبيئة والمجتمع، وأنها ثقافة إنسانية عالمية، حيث تخاطب الجميع وتتسع للجميع أيضاً، وأنها ثقافة تقوم على الشورى وتكريم الإنسان المسلم، ثم هي ثقافة حيوية يتواصل عطاؤها عبر أقطار العالم الإسلامي وعبر مراحل التاريخ الإسلامي، وهي أخيراً ثقافة وسطية أي تسمح بتناغم العلاقة بين العقل والنقل[2]

---

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، للدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط/١٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٤.

(٢) انظر للمزيد والتفصيل : خصائص الثقافة العربية والإسلامية في ظل حوار الحضارات ، مجموعة باحثين، سلسلة محاضرات حوار الحضارات (٣) إعداد وتقديم الدكتورة نادية محمود مصطفى، دار السلام للطباعة

على ذلك فالمثقف المسلم هو من تزوَّد بأنواع من العلوم المتصلة بالدين الإسلامي بحيث تكسبه قوة الإدراك وعمقه وسعته، وتكسبه الحذق والفطنة في الحكم على الأمور، ومجادلة المخالف بما يصل به إلى الاعتراف والاقتناع، لما يمثله الإسلام من قوة باعتباره دين الله الذي ارتضاه للناس وختم به النبوة والرسالات: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1]

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا ينبغي أن يفهم أن الثقافة الإسلامية مقتصرة على المعارف الدينية، إذ يترتب على ذلك قصْرُ الدين على العبادات وإبعاد الإنسان عن أمور الدنيا، وهذا غير صحيح، فالله ﷻ يقول: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]

وفي هذا السياق، يمكن أن تشكل الثقافة الإسلامية "كل ما فيه استثارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد

والنشر والتوزيع والترجمة ، ط/١/١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، ص ٦٢ ، ٦٨ من محاضرة للدكتور/ محمد سليم العوا.

(١) سورة المائدة ، جزء من الآية/ ٣

(٢) سورة القصص ، الآية/٧٧

والحكم لدى الفرد أو في المجتمع ، بما تشتمل من المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه، وبما لها كذلك من طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية. ولكن علينا أن ندرك أن لكل جيل ثقافته التي استمدها من الماضي وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر ، ومن ثم فهي تعتبر عنوان المجتمعات البشرية"[1]

وبالتالي فالثقافة الإسلامية هي فكرنا وهي سلاحنا في الصراع العالمي، وهي الدرع والحصن المنيع الذي يمنع عنا أخطار المجابهة الفكرية والتحدي الحضاري الذي يهدد كيان أمتنا وشخصيتها، ولذلك "فمن واجب كل فرد منا أن يتحسس مخاطر تلك الظاهرة ، فيحمي نفسه وأسرته ومجتمعه من ذلك الخطر الذي تحرص الحضارة المعاصرة على ترسيخه في أذهاننا"[2] وهو ما يحرص الغرب على توهين القيم الروحية والفكرية التي تقوم عليها ثقافتنا، مستخدماً في ذلك جيشاً كبيراً من المستشرقين الذين يلبسون مسوح الرهبان وهم

---

(١) الحضارة والنظام العالمي - أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب، للدكتور/ علي الشامي، الدار الإنسانية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٠

(٢) ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، د. عبدالحليم عويس ، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٢٢

يطوفون الأقطار الإسلامية، مدعين أنهم يحملون مشاعل المحبة والسلام والوئام!!

مفهوم الحضارة :

الحضارة - في أحد تعريفاتها - تعني "نمطاً أو أسلوباً متميزاً للحياة، فهي بمفهومها العام والشامل تعني كل ما ينتجه أفراد مجتمع من المجتمعات بعقولهم وأيديهم، وما يقومون به من نشاط في مختلف الميادين لتطوير حياتهم وتقدمها بحيث يكون ناتج هذا الجهد بصوره وأشكاله المتعددة مميزاً لهذا المجتمع عن غيره"[1] وهذا يعني أن الإنسان هو صانع الحضارة، كما أنه هو نفسه المستهدف والمستفيد منها، وللحضارة أسس وقواعد لابد لقيامها من وجودها، كما أنها تؤثر فيها وتساعد على تطورها وازدهارها، ويمكن أن نجمل هذه الأسس في العناصر الأربعة التالية:

١- الأساس الاقتصادي :

ونقصد به الموارد المختلفة لأي مجتمع، فهي وثيقة الصلة بالبيئة الجغرافية وظروفها الجوية والمناخية أيضاً، فإذا كان عطاء هذه البيئة وفيراً وسهلاً ومتنوعاً كثر المال وازدادت

---

(١) المسلمون والعالم، لمجموعة مؤلفين، الطبعة الثالثة - وزارة التربية - دولة الكويت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص ١٣٣.

الثروة وهما من أهم المقومات اللازمة لقيام الحضارة ولتطورها كذلك، كما أن العوامل المناخية الملائمة تساعد أيضاً على تسهيل حياة الناس ونشاطهم وجهدهم.

٢- الأساس السياسي :

ويعني نظام الحكم، فإذا كفلت السلطة الحاكمة لأفراد المجتمع الحرية والعدالة، وحافظت على الحقوق، وفرضت الواجبات وحددتها، قام كل فرد بواجبه على أكمل وجه، ومارس نشاطه على أوسع مدى في حدود الحرية التي لا تؤذي الآخرين.

٣- الأساس الأخلاقي :

وهو مجموعة القيم والعادات والتقاليد التي تضبط سلوك الأفراد وتنظم العلاقات فيما بينهم، وبالتالي تمنع الانحراف والخروج على الأعراف الاجتماعية التي لها في كثير من الأحيان قوة القانون وقدسيته.

٤- الأساس العقلي :

ونعني به القدرة على التفكير واستخدام العقل باعتباره الأساس في ابتكار كل وسائل التقدم، كما أنه الموهبة التي ميز الله سبحانه وتعالى بها الإنسان وفضله على كل المخلوقات كما في قوله ﷻ ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**

﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1]

الفرق بين الثقافة والحضارة :

الحضارة (بكسر الحاء وفتحها) خلاف البادية، والحاضِرَةُ والحَضْرَةُ والحَضَرُ هي: المدن والقرى والريف، وسُمِّيت بذلك لأن أهلها حَضَروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، فالحضارة تعني الإقامة في الحضر، وفي الحضر حياة تتميز بنوع من المدنية والاستقرار والتقدم في استخدام وسائل الإنتاج والابتكار لتيسير أمور الحياة، وهذا خلاف ما عليه البادية، حيث الحياة فيها أقرب إلى الفطرة، وما كان عليه بدء الحياة البشرية.

وإذا كان ذلك كذلك **فما الصلة إذن بين الثقافة والحضارة؟**

يرى بعض الباحثين "أن الثقافة والحضارة يجمع بينهما معنى مشترك وهو أنْ يكتسب الإنسان أنواعاً من الخبرة والمعرفة ويستخدمها في مختلف أنشطة الحياة، ففيهما معنى

---

(١) سورة الإسراء ، الآية/٧٠

معرفة متقدمة واستخدامها في شتى المجالات ومعنى تهذيب الغرائز والسلوك وتقويم الاستجابة لها، ثم إن الحضارة أكثر تطوراً ورقياً وتقدماً لمفهوم الثقافة"[1]

بينما يرى فريق آخر أن مفهوم الثقافة مختلف ومتميّز عن مفهوم الحضارة "فالحضارة تعني التقدم المادي الصناعي والزراعي الذي يستخدمه الإنسان في رقي حياته، أمَّا لفظة الثقافة فهي تعبر عن الجوانب الروحية والعقلية في التقدم الإنساني"[2]

وتوضيح ذلك وفق ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي، أَن الحضارة تختص بالتقدم المادي الخارج عن ذات الإنسان والذي يستخدمه في رقي حياته وتطويرها مثل المخترعات والآلات وكل ما يشمله التقدم المادي، أمَّا الثقافة فهي القيم الإنسانية التي تتصل بداخل الإنسان ذاته من حيث الرقي الروحي والعقلي والخلقي.

---

(١) الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، للدكتور/ شوكت محمد عليان، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، ط/٢/١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ١٦ - مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

موقف الإسلام من هذين الاتجاهين :

بالنسبة إلى الاتجاه **الأول** الذي يرى أن الحضارة هي امتداد أكثر تقدماً ورقياً لمفهوم الثقافة، لا يرى الإسلام أساساً لأي نوع من أنواع التفرقة بين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة، فكل منهما حصيلة جهود فكرية وعملية متعددة، قدَّمتها أجيال بشرية متتالية، ونجد في القرآن الكريم كثيراً من آيات الله البينات تحُضُّ الناس على التفكُّر والتدبر والنظر والعمل والتفقه في الدين، "والإسلام ينظر إلى كل تقدم بشري ناتج عن النظر والتجربة والتفكُّر والعمل على أنه واجب على الناس أن يقوموا به كل قدر طاقته وما وهيئ له، ودونما أية قيود في النظر والفكر والعمل سوى قيود الحق الذي دعا إليه القرآن الكريم"[1]

وكل مُختَرَع بشري مقبول في نظر الإسلام إذا استخدم في نفع الناس ولم يتعارض مع القيم الإسلامية، سواء كان ذلك في العقيدة أو الأخلاق أو السلوك، وكل ثمرة فكر نظري أو عملي مقبولة في نظر الإسلام ما دامت تتماشى مع أهدافه ومقرراته.

---

(١) د. محمد شوكت عليان، المرجع السابق، ص ١٧، ١٨

فالمذياع مثلاً والطائرات والدبابات وكذا الصواريخ، كل ذلك مقبول في نظر الإسلام شريطة أن تستعمل في مصلحة الإسلام والمسلمين، وأَلاَّ يترتب عليها نشر كفر أو فسوق أو إفساد في الأرض، فالثقافة والحضارة إمَّا أن توافق كل منها تعاليم الإسلام وحينئذ تكون حقاً، وإمَّا أن تخالفه أو تُستعمل في غير أهدافه ومقرراته وحينئذ تكون باطلاً.

وبالنسبة إلى الاتجاه **الثاني** الذي يفرق بين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة تأسيساً على التفرقة بين القيم الروحية والتقدم المادي، فإن الإسلام لا يرى وجهاً لهذه التفرقة، حيث ينظر الإسلام إلى الإنسان ككل متكامل (روح وجسد) باعتبار أن الارتقاء الروحي يؤثر بالفعل في الكيان المادي للإنسان، فالصلاة - مثلاً - عمل يشترك فيه الجسد والروح، ومثل ذلك أيضاً الصيام والحج وغير ذلك من العبادات الإسلامية، ومن ثم لا انفصال بينهما في نظر الإسلام. بل إننا نجد في حديث الرسول ﷺ ﴿**إنما الأعمال بالنيات**﴾[1] ما يؤكد حقيقة الجمع بين المعنوي والمادي في ثبوت الجزاء على العمل في المنهج الإسلامي.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في "كتاب الإيمان".

ومن ثم يمكن القول: "إن مفهوم الثقافة مـرادف لمفهـوم الحضارة، حيث يعني كل منهـا، كـل معرفـة عمليـة أو نظريـة تقوم على التجربة أو الفكر، وتهدف إلى رقي الإنـسان وتقدمـه في استخدام أساليب الحياة العلمية، أو في تقديم تصور حقيقي لأمور الكون النظرية، أو في تقويم سلوكه وتصرفاته، في ضوء معطيات النـصوص القرآنيـة ومقـررات الإسـلام العامـة"[1]، وعليه فكل ثقافة حضارة، وكل حضارة ثقافة.

التصور الإسلامي وأثره في وسطية الحضارة :

في فترة من فترات التاريخ الإسـلامي وتطـوره، حـدث أن احتكـت الحيـاة الاجتماعيـة المنبثقـة مـن التـصور الإسـلامي الصحيح، بألوان الحيـاة في المجتمعـات الأخـرى التـي وجـدها الإسلام في البلاد المفتوحة، ثم بالثقافات السائدة في تلك الـبلاد "الأمر الذي نشأ عنه آنـذاك انحرافـات واتجاهـات غريبـة عـن التـصور الإسـلامي الأصـيل.."[2] لـذلك نجـد أن المجتمـع الإسـلامي تعـرض لذبـذبات متواليـة مـن الـصعود والهبـوط

(١) محمد شوكت عليان، مرجع سابق ، ص ٢٩
(٢) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، للشهيد سيد قطب، دار الشرق، القاهرة، ط/١٤١٨/١٤هـ، ص ١٠

والكسل والخمول.. حتى تراكمت فيه عوامل الفساد التـدريجي الطويل وتزايدت على مر القرون، فأدت ـ في النهايـة ـ إلى الحـال البائسة التي يعيشها المسلمون اليوم في أرجاء الأرض. "لقد بـدأ الانحراف ـ في الحقيقة ـ مبكـراً جـداً، ولكنه كان في بداية الأمـر ضئيلاً جداً، ومنحصراً في نطاق ضيق.. ثم مـا لبـث أن اتـسعت شقته حتى كاد يؤدي إلى الانهيار الشامل"[1]

ولقد تمثلت مظاهر انحطاط المجتمع الإسلامي وتخلفه – للأسف الشديد – في فقدان الحيوية والنشاط وسـيادة الركـود والاستسلام في جميع جوانب الحيـاة، ونـشأ عـن ذلـك فقـدان التوازن الاجتماعي في حيـاة المـسلمين، نتيجـة انحـرافهم عـن المفاهيم والتصورات الإسـلامية الـصحيحة، وابتعـادهم عـن مصادر التلقي الأصيلة المتمثلة في كتاب الله وسنة رسولهﷺ.

ومن ثم جاء الحث على هـذا التـصور الإسـلامي لإنقـاذ البشرية من مثل تلك الانحرافات، ومن مثل تلك الاتجاهات، وردها إلى الاتجاه الإيجابي الواقعي، الذي يدفع بالطاقة كلها إلى مجال الحياة مـن أجـل البنـاء والتعمـير، والارتفـاع والتطهـير

(١) الثقافة الإسـلامية ـ ثقافة المسلم وتحديات العصر ، للدكتور محمد أبو يحيى وآخرين، مرجع سابق، ص١٦٢، ١٦٣

وبهدف حماية الطاقة من أن تبدد في الثرثرة ، كما جاء هذا التصور الإسلامي ليصون الإدراك البشري من أن يطوح به في التيه والظلمات.

ولقد كان "للتصور الإسلامي" سماته الخاصة، التي تميزه عن سائر التصورات الأخرى وتجعل له شخصيته المستقلة، وطبيعته المتفردة، التي لا تُستمد من تصورات أخرى، حيث كان له الأثر الكبير في إبراز ملامح الحضارة الإسلامية ووسطيتها، وتحديد قسماتها بالمعنى الواسع الذي لا تقف حدوده عند المعنى اللغوي المجرد.

وقد عرض الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله ـ في كتابه القيِّم "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" عرضاً شاملاً ومستفيضاً لسمات ذلك التصور الإسلامي وخصائصه بأسلوب علمي بالغ الدقة.

وسنوجز الملامح العامة لذلك "التصور" لما لها من ارتباط أساسي ومباشر بموضوع بحثنا هذا، فعلى الرغم من أن التصور الإسلامي قد تتعدد وتتوزع خصائصه إلا أنها تلتقي أو تتجمع في خاصية واحدة، تنبثق منها وترجع إليها سائر الخصائص العامة لذلك التصور، وتلك هي خاصية (الربانية).

الربانيـة[1] :

الربانيـة ـ إذن ـ أولى خـصائص التـصور الإسـلامي ، ومـصدر هـذه الخـصائص كـذلك، فهـي تقـوم عـلى تـصور اعتقادي موحي به من الله ـ سبحانه ـ ومحصور في هذا المـصدر لا يستمد من غيره، وذلك تمييزاً له مـن التـصورات الفلـسفية التي ينشئها الفكر البـشري حـول الحقيقـة الإلهيـة أو الحقيقـة الكونية أو الحقيقة الإنـسانية والارتباطـات القائمـة بـين هـذه الحقائق، وتمييزاً له من المعتقدات الوثنية التـي تنـشئها المـشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية"[2]

الشمـول :

ومن مميزات تلك الخاصية ـ خاصية الشمول التي جاءت بهـا العقيـدة الإسـلامية – أنهـا كاملـة غـير منقوصـة في

---

(١) انظر في تفصيل هذه المسألة المراجع التالية:
- مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها ، د. محسن عبد الحميد ، ص ٥١- ص ٥٥،
- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، د. توفيق يوسف الواعي ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢ ،
- الثقافة الإسلامية .. د. محمد أبو يحيى ، المرجع السابق ، ص ١٨٥ ـ ١٩٥ .

(٢) سيد قطب ، المرجع السابق ، ص ٤٥

الأساسيات، فقد تناولت كل مناحي الحياة - فجاءت عقيدة شديدة الوضوح والصفاء، "حيث اشتملت على شريعة تضمنت العبادات والمعاملات والاجتماع والاقتصاد والإدارة والقضاء والحكم الداخلي والسياسة الخارجية"[1] وقد جاءت هذه الأجزاء في نظام فريد من التناسق والترابط والوحدة، مما جعلها قادرة على مواجهة الظروف وتقديم الحلول التي تناسب البيئات على اختلاف الزمان والمكان والأفراد، فقال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2]

والشمول هنا هو طابع الصبغة الإلهية الأصيل، إذ لا يمكن أن تجيء فكرة بشرية، ولا أن يجيء منهج من صنع البشر يتمثل فيه "الشمول" (أو الكمال) أبدا إنما هو تفكير جزئي وتفكير وقتي، أما حين يتولى الله - سبحانه - ذلك كله "فإن التصور الاعتقادي وكذلك المنهج الحيوي المنبثق منه يجيئان بريئين من كل ما يعتور الصنعة البشرية من القصور والنقص

---

(١) دراسات في الثقافة الإسلامية، المرجع السابق ص ٢٢- ٢٣

(٢) سورة النحل ، جزء من الآية / ٨٩

والضعف والتفاوت، وهكذا كان "الشمول" خاصية من خواص "التصور الإسلامي"[1]

التـوازن :

وتبدو هذه الخاصية في جميع مبادئ الإسلام وتعاليمه وفي جميع المجالات، ومن ذلك على سبيل المثال: "التوازن والاعتدال بين العبادة والعمل، بين الروحية والمادية، بين أشواق الروح وحقوق الجسد أو مطالبه، بين حق الله تعالى وحق الحياة ، إذ لا تعارض بين الأمرين، بل إن حق الحياة والحفاظ عليها هو من حقوق الله‎ﷻ، فهو يحاسب الإنسان إذا قصر في ذلك، وبشكل عام توازن واعتدال بين الدين والدنيا"[2]

فالإسلام يطلب من الإنسان المسلم أن يكون إنساناً فاعلاً في الحياة، ساعياً في الأرض يعمرها ملتمساً الرزق في خباياها، مجداً في العمل في سبيل العيش زارعاً وصانعاً وتاجراً، معلماً أو متعلماً، مكتشفاً لموارد الأرض، ولا يشغله ذلك- في الوقت نفسه - عن آخرته، حتى لا يقصر في عبادة الله تعالى التي هي

---

(١) سيد قطب، المرجع السابق، ص ٩٦

(٢) راجع للمزيد والتفصيل كتاب (هذا الدين) للأستاذ الشهيد سيد قطب، طبعة/٤ ، دار الشروق القاهرة، ١٩٨٨م

أولى وأعظم مهامه في الحياة، فهذه الأمور جميعها بطبيعة الحال داخلة ضمن مفهوم عبادة الله سبحانه.

وهذه الخاصية - خاصية التوازن - تعني: التوازن في مقومات التصور الإسلامي، في إيحاءاته، وهي تتصل - كما ذكرنا من قبل - بخاصية "الشمول" التي يتميز بها (هذا الدين)[1] وهو شمول متوازن، وتوازن يتسم بالشمول في الوقت نفسه.

وبين ثبات وطلاقة المشيئة الإلهية، يقف الضمير البشري على أرض ثابتة مستقرة، يعمل فيها وهو يعلم طبيعة الأرض، وطبيعة الطريق، وغاية السعي وجزاء الحركة، ويتعرف إلى نواميس الكون وسنن الحياة، وطاقات الأرض، وينتفع بها وبتجاربه الثابتة فيها بمنهج علمي ثابت، وفي الوقت ذاته يعيش موصول الروح بالله عز وجل، معلق القلب بمشيئته - سبحانه - ولا ييئس أمام ضغط الواقع أبداً[2]

وتتجلى أهمية هذه الخاصية في أنها تناولت الإنسان والكون والحياة، ثم تناولت الإنسان في جوانبه الروحية النفسية وحاجاته المادية الإنسانية، وربطت بينهما في توازن

(١) انظر للمزيد والتفصيل: دراسات في النفس الإنسانية، للأستاذ/ محمد قطب، دار الشروق، ط/٤/١٩٨٠م

(٢) سيد قطب ، المرجع السابق ، ص ١١٩ ، ص ١٢٥

دقيق، قال الله ﷻ ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[1]

ولهذا نرى أن المنهج الإسلامي يحقق التوازن بين مطالب الفرد وحق الجماعة، ويؤكد هذا التوازن قيامه على وعي المسلم بحق الجماعة وشعوره بواجب التعاون معها، وتنديده بالنزعات الانعزالية التي تعني الأثرة والفردية. ويعد الإسلام كل عمل جماعي نافع عبادة من أفضل العبادات، قال تعالى ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[2] وقال تعالى ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[3]

ويبقى أن نأخذ من هذه الخاصية أن التصورات الأوروبية التي تأصلت فيها تلك التصورات الأسطورية المختلفة

---

(١) سورة القصص، الآية/٧٧

(٢) سورة المائدة ، جزء من الآية/ ٢

(٣) سورة التوبة ، الآية / ٧١

ودخلت في مناهج تفكيرها، هذه التصورات الأوروبية وما قام عليها من مناهج التفكير، وما نتج عنها من مذاهب وأفكار.. كلها تصطدم اصطداماً ظاهراً أو خفياً مع التصور الإسلامي ومناهج الفكر الإسلامية "وإن أي استعارة من تلك التصورات أو مناهج التفكير أو نتاجها من المذاهب والأفكار البشرية، تحمل في صميمها عداء حقيقياً للتصور الإسلامي وللفكر الإسلامي، ولا تصلح بتاتاً للاقتباس منها أو الاستعانة بها، بل هي كالسم الذي يتلف الأنسجة ويؤذي الأعضاء، ويقتل - في النهاية - إذا كثر المقدار!!"[1]

فهذا التصور جاء من عند الله ﷻ، بكل خصائصه، وبكل مقوماته، وتلقاه "الإنسان" كاملاً، لا ليزيد عليه أو ليضيف إليه شيئاً من عنده ولا لينقص أو ليحذف منه شيئاً، ولكن ـ كما يقول الشهيد سيد قطب ـ "ليتكيف هو به، وليطبق مقتضياته في حياته .."[2]

---

(١) سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي، المرجع السابق ، ص ٤٠
(٢) المرجع السابق، ص ٤١

الثبـــات :

وتعني تلك الخاصية - خاصية التطور والثبات - والجمع بينهما في تناسق مبدع، بوضع كل منهما في موضعه الصحيح: الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة أو التطور فيما ينبغي أن يتغير ويتطور بما يلائم مصالح العباد "والإسلام الذي ختم الله به الشرائع والرسالات السماوية، أودع الله فيه عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور معاً، وهذا من روائع هذا الدين، وآية من آيات عمومه وخلوده وصلاحيته لكل زمان ومكان"[1]

هناك إذن "ثبات" في "مقومات" هذا التصور الأساسية و"قيمه" الذاتية، فهي لا تتغير ولا تتطور حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية، وأشكال الأوضاع العملية، فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع ، يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور"[2] ولا يعني ذلك "تجميد" حركة الفكر والحياة داخل إطار هذا التصور الإسلامي، ولكنه

(١) الخصائص العامة للإسلام ، للدكتور يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة، ص ٢٠٣- ٢٠٤

(٢) سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي، المرجع السابق ، ص ٧٥

يستلزم السماح لها بالحركة، بل يدفعها إلى الحركة والمرونة داخل إطار ثابت وحول محور ثابت[1]

وأهمية وجود تصور ثابت على هذا النحو، تكمن في "ضبط الحركة البشرية والتطورات الحيوية، فلا تمضي شاردة على غير هدى كما وقع ذلك في الحياة الأوروبية عندما أفلتت من عروة العقيدة فانتهت إلى تلك النهاية البائسة ذات البريق الخادع، الذي يخفي في طياته الشقوة والحيرة والنكسة والارتكاس"[2]

الإيجابية :

والخاصية الخامسة البارزة في التصور الإسلامي هي الإيجابية.. بمعنى الإيجابية من ناحية الإنسان ذاته في حدود المجال الإنساني، ومن هذه الخاصية في التصور الإسلامي..

---

(١) انظر للمزيد والتفصيل ، فصل :"التطور والثبات" في كتاب الثقافة الإسلامية، للدكتور/ محمد أبو يحيى وآخرين، المرجع السابق ، ص ٢١٧- ٢٢٦ ، وكذلك التطور والثبات للأستاذ/ محمد قطب، طبعة دار الشروق، القاهرة، ط/٢/١٩٨٠م

(٢) سيد قطب ، المرجع السابق ، ص ٧٩

كانت حياة الجماعة المسلمة الأولى في ظلال المنهج الشامل المتعلق بواقع حياتهم..."[1]

والصفحة الأخرى للإيجابية في التصور الإسلامي.. هي إيجابية الإنسان في الكون، وإيجابية المؤمن بهذه العقيدة الإسلامية في واقع الحياة على وجه خاص، إن هذا التصور ما أن يستقر في الضمير حتى يتحرك ليحقق مدلوله في صورة عملية وليترجم ذاته في حالة واقعية، "والمؤمن بهذا الدين ما يكاد الإيمان يستقر في ضميره حتى يحس أنه قوة فاعلة مؤثرة في ذات نفسه وفي الكون من حوله"[2] "ففي طبيعة التصور الإسلامي ما يحفز الإنسان على محاولة الحركة الإيجابية لتحقيق هذا المنهج في صورة واقعية"[3]. فالمسلم يعرف من إدراكه لهذا التصور أن الإنسان قوة إيجابية فاعلة في هذه الأرض، وأنه ليس عاملاً سلبياً في نظامها، فهو مخلوق مستخلف فيها ليحقق منهج الله في صورته الواقعية العملية، لينشئ وليعمِّر وليغير ويطور وليصلح وينمي كل ما فيه نفع للحياة على هذه الأرض، وهو مُعانٌ على هذه الخلافة من الله عز وجل.

(١) للمزيد والتفصيل ، المرجع نفسه، ص ١٥٧
(٢) سيد قطب، المرجع السابق ، ص ١٦٢
(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٥

وبهذا كله يستشعر المسلم أن وجوده على هذه الأرض يقتضيه أن يكون إنساناً إيجابياً فاعلاً في ذاته ومؤثراً في الآخرين من حوله ، وأنه لا ينجو من مساءلة الله أو حسابه له إلا إذا أدى دوره الإيجابي في خلافة الأرض وفق شرط الله ومنهجه ، وأن يطبق هذا المنهج في حياته، وكذلك من خلال تأثيره في حياة الآخرين من حوله، وأن يتخذ الجهاد - بكل أشكاله وأنواعه - وسيلة ومنهجاً وأداة لدفع الفساد عن هذه الأرض التي يعيش عليها الإسلام، طبقاً لمنهج استخلاف الله له في هذه الحياة.

الواقعية :

والخاصية السادسة والأخيرة من خواص التصور الإسلامي هي (الواقعية) بمعنى التحقق في عالم الواقع، فالواقعية تصور يتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي المستيقن والأثر الواقعي الإيجابي، ولهذا فإن الإنسان في التصور الإسلامي هو هذا الإنسان "الواقعي"، الذي يجب أن يتعامل بمنهج الإسلام الإيجابي الذي يثري الحياة، ويحقق استمرارها على هذه الأرض إلى ما شاء الله.

أبيض

الفصـــل الثـــاني

سمات الحضارة الإسلامية الوسطية

تمهيـد:

باسـتطاعة الباحـث في مجـال الحـضارات، والحـضارة الإسلامية بخاصة، أن يرصد عدة سـمات أو (خـصائص) كـما يسميها البعض[1]، للحضارة الإسلامية العربية، تميزها بـالطبع عن غيرها من الحضارات الإنسانية أو البشرية بوجه عام.

لقد انطلقت الحضارة الإسلامية مـن ديـن حـق وعقيـدة واضحة ووحي من الله سبحانه وتعالى، ومن ثـم فلابـد لهـا - بناء على ذلك - من سمات أو خصائص ذاتية تـشكل ملامحهـا العامة والخاصة أيضاً، وتميزها عن بقية الحضارات، ولعله يأتي في مقدمة تلك السمات المميـزة للحـضارة الإسـلامية الالتـزام بـدين الله الحـق - الإسـلام - والـسير عـلى هـداه والتمـسك بتعاليمه التي انعكست آثارها على مجـالات الحيـاة المتعـددة في المجتمع الإسلامي في عصور ازدهاره، لما كانت تقـوم بـه مـن

(١) مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها ، د. محسن عبد الحميد ، مرجع سابق، ص ٤٣ وما بعدها .

الجمع بين مطالب الحياة الدنيا للإنسان في هذا الوجود، والتوفيق بينها وبين مطالب الحياة الآخرة بهدف تحقيق السعادة والطمأنينة النفسية والوجدانية للإنسان المسلم في هذا العالم المحيط به.

هذا الجمع أو "التوفيق" بين مطالب الإنسان المسلم المادية والمعنوية[1]، هو سمة من أهم سمات الحضارة الإسلامية. ذلك أنها لم تدعه لطغيان المادة أو سيطرتها عليه، فيكون حينئذ أسيراً، أو عبداً لشهواته المادية التي لا تنتهي، أولا تهدأ يوما ما، وكذلك لم تتركه ليقبع في صومعته أو خلوته منكفئاً على العبادة والصلاة ليلاً ونهاراً، في رهبانية مبتدعة، وإنما أكدت تلك السمة الإسلامية الحضارية أن المسلم عليه أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً وأن يعمل لآخرته أيضاً كأنه يموت غداً.

وفي رواية عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه رأى بعد الصلاة قوماً جالسين في المسجد بدعوى التوكل على الله

(١) للمزيد والتفصيل انظر: كتابنا (الإسلام وضوابط السلوك - دراسة لدور القيم الخلقية والإسلامية في توجيه الفرد والمجتمع، في مجال النشر، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم - الرباط، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

فعلاهم بدرته (أي ضربهم ونهرهم) وقال لهم كلمته المشهورة "لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة[1]. وإن الله تعالى يقول: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾[2]. بل جعل الإسلام السعي على المعاش وطلب الحلال بالضرب في الأرض، قرين الجهاد في سبيل الله، فقال سبحانه: ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[3] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال "ما من حال يأتيني عليها الموت - بعد الجهاد في سبيل الله - أحب إلى من أن يأتيني وأنا ألتمس من فضل الله، "ثم تلا هذه الآية ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾

فالحضارة الإسلامية (ذات السمة الوسطية) تقوم إذن على عمارة الدنيا، ولقد كان للمسلمين السابقين فضل كبير في تطوير كثير من مجالات الحياة التي تتعلق بعمارة الأرض، وتطوير طرق الزراعة والصناعة وتنويعها، وكذلك إتقان العمل وتطوير وسائل الإنتاج وإحياء الأرض الموات، "فإن

(١) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، للدكتور توفيق يوسف الواعي، مرجع سابق، ص١٩١، ١٩٠

(٢) سورة الجمعة ، جزء من الآية/ ١٠

(٣) سورة المزمل ، جزء من الآية/ ٢٠

من أحيا أرضاً ميتةً (أي من قام عليها بالرعاية والإصلاح وبذرها بالحب حتى تنبت وتخضر فهي له"[1]

لقد جاء الإسلام بمفاهيم حضارية عدلت موازين الدنيا المغلوطة ، ورفعت من قيمة العمل والعاملين، وقد كانت الدنيا آنذاك تعد الحرف والصناعات والعمل مهناً حقيرة ، يعير بها صاحبها ، فجاء الإسلام فرفع من قيمة العمل أيا كان نوعه، وأعلى من شأن العاملين، ومقت البطالة و"بين أن كسب الإنسان من عمله هو دليل على قيمته الحقيقية في المجتمع "روى البخاري عن الزبير بن العوام أن النبيﷺ قال: ﴿لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه[2] خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه﴾ وقال ﷺ ﴿ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده﴾[3] وضرب الرسول ﷺ المثل بنفسه وبالأنبياء ، وأنهم لم يبعثوا عالة على أحد ، فقال ﷺ ﴿ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم، قالوا:

---

(١) إحياء الأراضي الموات في الإسلام، تأليف عاطف أبو زيد سليمان، سلسلة دعوة الحق ، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد/١٦٤

(٢) رواه البخاري / الجزء /٤/ ص ٣٠٤ ، والمعنى أن يحمي الله بذلك كرامة المسلم عن ذل السؤال.

(٣) رواه البخاري ، الجزء/٤/ص ٣٠٤

وأنت يا رسول الله ؟ قال: نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة﴾[1]

ومما يؤكد ما نقول به أنه "في عصر الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) شقت كثير من الترع والمصارف حتى غطت أجزاء كبيرة من أراضي العراق، وأمكن ري الأراضي الممتدة بين الصحراء الغربية وجبال كردستان وتحويلها إلى جنان خضراء، عامرة بالزرع والنماء، وفي (مرو/ شرق بلاد فارس) كان هناك جهاز متخصص للري يسمى "ديوان الماء" يعمل به عشرة آلاف عامل يرأسهم صاحب ديوان الماء "[2]

من سمات الحضارة الإسلامية أيضا تقديرها للسمو الإنساني، فالعقيدة الإسلامية ترتفع بالإنسان بعامة - والمسلم بصفة خاصة - إلى مدارك السمو والرقي والتكريم، لاسيما ما تمنحه إياه من قيمة في التفكير وتحضه عليه ، فلا يكون إنسانا أسيراً لرواسب ماضية كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ**

---

(١) انظر للمزيد والتفصيل: الاكتساب في الرزق المستطاب ، للإمام محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق/ محمود عرنوس، (هدية مجلة الأزهر) ١٤١٦هـ - أكتوبر ١٩٩٥م، ج/١/، ٢٦ - ٣٥

(٢) الحضارة الإسلامية، د. محمد الجوهري، مرجع سابق، ص ٦١- ٦٢ .

كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[1] فالعقيدة تعلمه أن يكون مع الحق الذي قام عليه الدليل، كما أنها تبعث في نفوس المؤمنين بها التصور الحقيقي لقيم الأشياء.. "فمن يعرف ربه يعرف قيمة نفسه .. ويعلم كذلك أن الناس كلهم عبيد الله"[2].

وبعد هذا التمهيد العام لسمة الحضارة الإسلامية نتناول - فيما يلي - أهم سمات تلك الحضارة الإسلامية على التفصيل التالي:

أولاً: سمة الوسطية :

أشرنا من قبل إلى أن الدين الإسلامي هو دين الوسطية والاعتدال، كما في قوله تعالى **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾**[3] وكما يقول البعض: أمة وسطية في الدين والاعتقاد، أمة متدينة معتدلة، واقعية تتميز بالتسامح الديني، وتعدد الأديان وتعايشها، "أمة لا عنصرية في الجنس أو اللون أو اللغة، ولا طبقية من حيث الغنى والفقر، أمة لها اتزان حضاري وثقافي

---

(١) سورة البقرة ، الآية / ١٧٠

(٢) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، د. توفيق يوسف الواعي، مرجع سابق، ص ٢١٢- ٢١٣

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية /١٤٣

تتفاعل مع الحضارات والثقافات الأخرى ولا تتصارع معها، فقد تفاعلت مع الثقافات والحضارات اليونانية والبيزنطية والفارسية والهندية والصينية، وأخذت منها ما هو نافع ومفيد وتركت ما لا يتفق مع معتقداتها ومفاهيمها الإسلامية"(1)

إن انعكاس وسطية الإسلام على الثقافة العربية الإسلامية واضح وجلي، فقد أكسبها الإسلام المرونة في حوارها مع الثقافات الأخرى نظراً إلى الثقة الكبيرة في مصادرها الإسلامية الصالحة لمسايرة التطور والارتقاء في كل زمان ومكان، إلى غير ذلك من المميزات الأخرى التي يتميز بها الدين الإسلامي، والتي لا يمكن أن نحصيها.

"وإذا كنا نتبنى فكرة الدعوة إلى قيام حوار وتواصل حضاري مشروط بالتكافؤ والحفاظ على مقومات الهوية الإسلامية والثقافية، فليس هذا استجابة لما تمليه مقتضيات ذلك الواقع فحسب، ولكن ثمة دافع آخر، لعله الأكثر أهمية وفاعلية، يرجع إلى موقف الثقافة الإسلامية ذاتها من الثقافات والحضارات الداعي إلى قيام حوار وإيجاد تواصل معها انطلاقاً من سنة الله الحاكمة في التعدد الديني والثقافي والتنوع

(1) د. محمد الجوهري ، مرجع سابق، ص ٤٥ .

والاختلاف، بغية التعارف والتكامل والتفاعل، وعلى ضوء ذلك استنهضت الثقافة الإسلامية عزائم مفكريها وعلمائها - منذ وقت مبكر - للإسهام في قيام هذا الحوار، الذي اتخذ أشكالاً وصوراً متعددة"[1]. وكما يؤكد المفكر الإسلامي المعاصر عمر عبيد حسنة: "إن الحضارة الإسلامية مؤهلة اليوم لإنقاذ الحضارات الأخرى وإنقاذ إنسانها، وهذا لن يتأتى بالادعاء، وإنما باستيعاب الحضارة والتخصص بشعبها المعرفية، لتوجيه مسارها من الداخل صوب غايات خيرة.. والذي يمكن من هذا الدور أن العرب والمسلمين يشكلون حيزاً كبيراً في جوف الحضارة المعاصرة، وسوقاً كبيراً لاستهلاك منتجاتها، سواء في ذلك السواعد، أو الأدمغة، أو مخزن الطاقات التي تدير عجلتها، إضافة إلى الوجود الإسلامي المنتشر"[2]

---

(١) الثقافة الإسلامية ودراسة عقيدة الآخر.. بحث للدكتور حمدي عبدالله الشرقاوي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد/٥٨/رجب ١٤٢٥هـ - سبتمبر ٢٠٠٤م، ص ٢٦٦.

(٢) الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري - أنموذج مالك بن نبي - تأليف: بدران بن مسعود بن الحسن، سلسلة كتاب الأمة - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (التقديم) ص٣٧ .

فالأمة المسلمة ليست أسيرة لتاريخ أو لماضٍ، اللهم إلا السيرة الصحيحة التي تمثل أنموذج الاقتداء، المسدد بالوحي، والمؤيد به.. بل لعل السيرة النبوية تشكل أحد المعايير التطبيقية لتقويم التاريخ. وبذلك فالأمة المسلمة قادرة باستمرار على التجدد الذاتي في إطار المنهج الإسلامي، وهذا يعتبر أحد مرتكزات التمكين الحضاري الكامن في طبيعة الأمة وقيمها، التي تؤهلها باستمرار لاستئناف السير ومعاودة النهوض "ولعل هذا هو السر الحقيقي في عدم انقراض الأمة المسلمة وموتها، وعدم خضوعها بإطلاق للدورات الحضارية، التي جرت على الحضارات والتي سادت ثم بادت، على الرغم من خضوعها لسنة التداول الحضاري"[1]، قال الله تعالى: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[2]، وذلك أن خميرة النهوض تتمثل دائماً في القيم المستمدة من الوحي (الكتاب والسنة)، وفي تجسيدها وتفعيلها للطاقة الممتدة، القائمة على الحق.

---

(١) عمر عبيد حسنة، تقديمه لكتاب: المستقبل للإسلام، للدكتور أحمد علي الإمام، سلسلة كتاب الأمة - قطر ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص ٢١

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية/١٤٠

ثانياً: التسامح الإسلامي ومعالم التقدم :

من السمات المميزة للحضارة الإسلامية، أنها حضارة تقوم على "التسامح الإسلامي"[1] فالتسامح الديني مع غير المسلمين والاعتراف لهم بحريتهم في معتقداتهم الدينية، والتسامح في المعاملات بين المسلمين أنفسهم وغير المسلمين من أهل الذمة، كل ذلك يعد سمة من السمات التي تتميز بها حضارتنا الإسلامية الوسطية.

كذلك من سمات الحضارة الإسلامية وَحدتها، فوحدة الحضارة الإسلامية تعني " تشابهها في الروح وفي الخصائص المميزة لها، فالروح الإسلامية تتجلى في العمارة والزخرفة وفي المنسوجات وفي بناء المساجد الإسلامية والعمائر، وغيرها من مجالات الحضارة "[2] (على نحو ما سنبين ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث).

لقد عرف المسلمون أسلوب الحياة الإدارية وتدوين الدواوين، واهتموا كذلك بدور سك العملة والبريد، واهتم

(١) انظر للمزيد والتفصيل للمؤلف: كتابه : العدل والتسامح في ضوء الإسلام، سلسلة دراسات إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة (الثانية) ٢٠٠٣م .

(٢) د. محمد الجوهري ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .

المسلمون بالجيش وتأسيسه على أسلوب حضاري في التقسيم والتسليح، ودعموه بأسطول بحري، واستخرج المسلمون المعادن والبارود والكاغد (الورق) وصنعوا الزجاج والصابون، واهتم المسلمون بالتبادل التجاري ونظام الأسواق العامة والخاصة[1]

وأبدع المسلمون في فن العمارة على أحدث طراز معماري، ولاتزال المساجد والقصور والقلاع والأسوار الموجودة في الأندلس وغرناطة ومصر وبغداد ودمشق والقدس وغيرها، شواهد حق على معالم حضارة المسلمين، بل إن شوارع بغداد أُنيرت في الليل بالشموع، وغسلت شوارع القاهرة بالصابون، وعرفت دمشق دوراً لعجزة الحيوان، ودرس المسلمون علوم الهند والفرس والإغريق، فحفظوها وعدلوها وزادوا عليها زيادات لا تحصى في الطب والصيدلة، والفلك، والجغرافيا، والعلوم الرياضية وغيرها، وأقاموا المراكز الثقافية في الأندلس وغرناطة، حيث أمدت تلك المراكز أوروبا بزاد النهضة العلمية والفكرية آنذاك.

---

(١) دراسات في الثقافة الإسلامية، مجموعة مؤلفين، مرجع سابق، ص ١٩ .

ثالثاً: الحضارة القدوة (النموذج) :

يجدر بنا أن نشير إلى سمة أو خاصية أخرى من سمات حضارتنا الإسلامية، ألا وهي سمة القدوة أو (النموذج) فحضارتنا تمركزت حول شخصية النبي محمد ﷺ[1] فقد جسّد الله تعالى في شخص النبي الكريم معالم الإسلام كلها، عقيدة وشريعة وسلوكا ، فكان – كما وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها "خُلقه القرآن"[2]، أو كما يقول البعض، "إن الإسلام ليس دينا روحيا مثاليا غير قابل للتطبيق في دنيا الناس، وإنما هو دين واقعي، يقيم الحياة كلها على أحكامه وتشريعاته، فيمدها بأسباب البقاء، ويرفدها بالقيم الحضارية المطلوبة[3]

إن رسول الله ﷺ حارب – فيما حارب – الدجل والعقائد الباطلة والتنجيم والكهانة، والعرافة ، وهي من مظاهر بدائية التفكير التي تتعارض مع العلم الصحيح. فقال في حديثه

(١) للمزيد والتفصيل: انظر كتابنا : في ظلال سيرة الرسول ﷺ، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد/١٠٨، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
(٢) رواه البخاري في صحيحه.
(٣) المذهبية الإسلامية، د. محسن عبدالحميد، مرجع سابق، ص ٥٧ .

الشريف ﴿من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة﴾[1]

رابعاً: دعم الحركة العلمية :

إن الحضارة الإسلامية الوسطية تدفع في جوهرها إلى الحركة العلمية والفاعلية الإيجابية للإنسان المسلم في مجتمعه لعمارة الكون والاستفادة من عطاءات الله وكنوزه المكنونة في الأرض، فهي تنسجم – من ثم – مع حركة العوالم من حولها، فكل شيء نراه أو لا نستطيع رؤيته في هذا الكون إنما يسير في حركة دائبة وعمل مستمر، والإنسان المسلم ليس بعيداً عن تلك الحركة الكونية بطبيعة الحال.

ومن الأدلة على ذلك احتراف علماء المسلمين وأئمتهم – رحمهم الله– بعض المهن والصناعات، فقد كانوا يشتغلون بالحرف والصناعات وينفقون منها على أنفسهم، ويعملون لكي يكونوا قدوة لغيرهم، ملتزمين بهدي الإسلام وإرشاداته في هذا السبيل، حتى أن منهم من كان ينسب إلى تلك الحرف التي كانوا يجيدونها ويشتهرون بها. "فقد كان

(١) مختصر صحيح مسلم، للحافظ المنذري، رقم ١٤٩٦، ط ، وزارة الأوقاف، الكويت.

هناك "البزار" والقفال، والزجاج، والخراز، والجصاص والخواص، والقطان.. إلخ[1] وهذه كانت أسماء أو كُنى لعلماء مسلمين كبار، خدموا العقيدة والفقه الإسلامي، وأثروا الاجتهاد في العلم بأعمالهم وجهودهم وإخلاصهم لهذا الدين الإسلامي العظيم.

خامساً: حرية الفكر :

إن من سمات حضارتنا الإسلامية الوسطية، احترامها لحرية الفكر وتقديرها لحق التفكير، بل إن أحد مفكري الإسلام المعاصرين يذهب إلى أن "التفكير" **فريضة إسلامية**[2] فالإسلام إذن دين حرية ودين تفكر في ملكوت الله، بل إنه يدفع دوما من خلال العديد من آيات كتابه الكريم، إلى إثارة التفكير وحض العقل على النظر والتأمل دوما في الكون والحياة، وفيما حول الإنسان، بل وفي الإنسان ذاته، وقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ۞ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ**

(١) انظر: د. توفيق الواعي ، مرجع سابق ، ص ١٩٢

(٢) عباس محمود العقاد ، كتاب بعنوان: التفكير فريضة إسلامية ، نشر المؤتمر الإسلامي، دار القلم، القاهرة، (د.ت)

وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[1]

وهكذا نجد أن الدعوة الإسلامية – في صميمها – قد "قامت على تنبيه الفكر وإذكاء العقل، وحث الناس على التأمل والبحث واستجلاء الحقائق، والنظر إلى ما وراء الأشياء، وإلى غاياتها"[2]. ولهذا نرى القرآن يدعو الناس إلى التفكر في خلق السموات والأرض، وفي خلق أنفسهم، وفيما حولهم مما تقع عليه أبصارهم، أو تسمعه آذانهم، "ليصلوا من وراء ذلك كله إلى معرفة الخالق سبحانه، وليستطيعوا أن يميزوا بين الحق والباطل"، قال تعالى: ﴿**قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ**﴾[4]

سادساً: حضارة خلقية :

إن من أبرز خصائص الحضارة العربية الإسلامية أنها أخلاقية في مبادئها وأهدافها وتوجهاتها، ومن ثم فالأخلاق

---

(١) سورة الذاريات، الآيات / ٢٠- ٢٣
(٢) د. توفيق الواعي ، مرجع سابق ، ص ٢٣٣
(٣) سورة يونس ، الآية / ١٠١
(٤) سورة آل عمران ، جزء من الآية / ٧ .

الحسنة تحتل منزلة عالية في هذه الحضارة، فالله تعالى يصف محمدا ﷺ بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]

وتتجلى المبادئ الأخلاقية في جميع مناحي الحضارة العربية الإسلامية، في العمل والعلم والتشريع والحرب والسلم والاقتصاد وغير ذلك[2]

والإسلام يربط الأخلاق بالعقيدة ويجعلها غاية الرسالة، فيقول الرسول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وفي الحضارة العربية الإسلامية لا تتجزأ الأخلاق إلى أخلاق تتعلق بمعاملة المسلمين وأخرى لغيرهم، فالخير خير للمجتمع كله.

سابعاً: حضارة إنسانية :

إن الإنسان محور اهتمامها لتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة. وهي إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة، فقد أعلن القرآن الكريم وحدة النوع الإنساني بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً**

---

(١) سورة القلم، الآية/٤

(٢) د. أحمد نوفل وآخرون، في الثقافة الإسلامية، دار عمار للنشر والتوزيع - عمان ١٩٨٤م، ص ١٥٣

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]، ويعلن القرآن الكريم أن الناس خلقوا من نفس واحدة، فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء﴾[2]

إن هذه النزعة الإنسانية واضحة في كل باب من أبواب التشريع الإسلامي، فلا فرق بين عربي وأعجمي، ولا بين أسود وأبيض، فكلهم سواء، وأكرمهم عند الله أتقاهم[3].

والإنسان خليفة الله في الأرض ومهمته تعميرها، ولا مكان للتفوق العرقي أو النزعة العنصرية في الحضارة العربية الإسلامية، ومقياس التفاضل بين البشر هو التقوى، ومن هنا فإن هذه الحضارة ترتبط بالجانب القيمي حيث تكرم الإنسان دون اعتبار للونه أو عرقه، خلافاً لما نجده في الحضارات الأخرى.

والمساواة مبدأ أصيل في الحضارة العربية الإسلامية، قرره خالق ومبدع هذا الكون. إنها المساواة المنبثقة عن وحدة المنشأ من أب واحد وأم واحدة، فلا تقيم وزنا للعرق أو اللون، ولو

---

(١) سورة الحجرات، جزء من الآية/١٣

(٢) سورة النساء، جزء من الآية/١

(٣) د. أحمد نوفل وآخرون، في الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٥٣-١٥٤

شاء الله لجعل الناس أمة واحدة، ولكن مشيئته اقتضت أن يخلق الناس شعوباً وقبائل للتقارب والتعارف والتعاون وتبادل الخبرات.

ثامناً: حضارة إيمانية :

تستند هذه الحضارة إلى ربط هذا الوجود بأسره بخالق واحد خلق من العدم، ومن ثم فالكون ليس أزليا ولا أبدياً، خلافاً للحضارة اليونانية التي تقوم إما على التعددية في الربوبية والإلوهية أو القول بإله لا يأبه ولا يتدخل في هذا الوجود. كما تستند إلى مبدأ لا شيء من اللاشيء أو العدم. ومن هنا كان علماء العرب ينظرون إلى علوم اليونان بحذر شديد نظراً إلى ارتباطها بالفلسفة التي تحمل في طياتها مضامين ميتافيزيقية تختلف في كثير من الأحيان مع ميتافيزيقا الإسلام[1]

(١) د. علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٧٤

إن التوحيد هو المقوم الأول للتصور الإسلامي الذي ينفرد بهذه الصورة الخالصة من التوحيد من بين سائر التصورات الاعتقادية والفلسفية السائدة في الأرض جميعاً[1]

إن أساس الحضارة العربية الإسلامية هو العقيدة التي تتعاقب الأجيال على حمل رايتها لأن العقيدة لا تبلى ما دام هناك من يؤمن بها، وما دامت العقيدة حية في عالم الإسلام فاللغة العربية ستظل حية، وهذان العنصران: العقيدة واللغة بالنسبة إلى الحضارة العربية الإسلامية سيظلان باقيين لا ينال منهما تعاقب الأجناس وتغير الظروف على الرغم مما تتعرض له هذه العقيدة واللغة من هجمات خارجية وخاصة في عصر العولمة[2]

تاسعاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ويعني هذا المبدأ من منظور إسلامي إحقاق الحق ومقاومة البغي، والإسلام يفرضه على الفرد والجماعة والدولة،

---

(١) سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، مرجع سابق، ص ٢١٢ .

(٢) د. محمد فتحي عثمان، القيم الحضارية في رسالة الإسلام، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

وهو واجب ديني شرعي يستند إلى العقيدة، ويتغلغل في أعماق ضمير المؤمن، ويقترن بالإيمان في عدد من الآيات القرآنية[1]

يقول الله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[2]، ويقول ﷻ ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾[3]، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة شرعية على كل مسلم ومسلمة.

يقول الرسول ﷺ : ﴿من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان﴾، ويقول ﷺ: ﴿والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم﴾.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية جماعية، فكل إنسان مكلف بحماية المجتمع من الفساد والانحلال، وأي تقصير في هذا المبدأ ستنعكس آثاره على المجتمع كُلِّه.

---

(١) د. يوسف القرضاوي، الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، مرجع سابق، ص ١٥٨

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية/١١٠

(٣) سورة آل عمران، جزء من الآية/١٠٤

الخلاصـــة :

إن الحـضارة الإســلامية مؤهلـة اليـوم لإنقـاذ الحـضارة المعاصرة من وهدتها، وإنقاذ إنسانها الذي لم تـشفه متـع الحيـاة المادية على كثرتها، وهذا لن يتحقق من دون استيعاب مفـاهيم الحـضارة الـصحيحة والتحـصن بـشعبها المعرفيـة، لتوجيـه مسارها من الداخل صوب غاياتٍ خيِّرةٍ.

"ذلك أن حـضارتنا الإسـلامية جـاءت مدعمـة بتطبيـق الأنموذج على يد النبي الكريم، مؤكدة عطاء التجربة التاريخية الحضارية وجـدارتها بالعالميـة منـذ خطواتهـا الأولى"[1]، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

اللغة العربية وأهميتها للحضارة الإسلامية الوسطية :

من المعلوم أن دعوة الإسلام قامت على أساس من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأن القرآن نـزل بلـسان عـربي مبين، وهناك اعتبـار مهـم يتعلـق باللغـة العربيـة ودورهـا في تكـوين **"الـوعي الـصحيح عـن معنـى الحـضارة الإســلامية**

---

(١) الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري - أنموذج مالك بن نبي ، تأليف / بـدران بـن مـسعود بـن الحـسن "كتـاب الأمـة" قطـر - وزارة الأوقـاف والشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ع/٧٣، ص ٣٧ .

وحقيقتها"، حيث تعتبر اللغة مقوماً مهما من مقومات الثقافة الإسلامية، إلى جانب كونها عنصراً فاعلاً من عناصر وحدة الأمة الإسلامية وثقافتها، ووسيلة من وسائل التخاطب والتفاهم بين المؤمنين بهذا الدين الحنيف.

لذلك أراد الله تعالى للإسلام، وهو الرسالة الخاتمة، أن يكون رسوله ومبلغ دينه رسولاً عربياً إلى الخلق كافة ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾[1]، وجعل رسالته باللغة العربية ، كما جاء في قوله تعالى ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[2] ولهذا يجب علينا أن نناقش، في هذا البحث، مدى أهمية اللغة العربية وارتباطها بالحضارة الإسلامية الوسطية، وذلك على التفصيل التالي:

إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، ولذلك فهي لغة مقدسة، فقد نزل بها القرآن الكريم[3]، كتاب الله الذي ﴿**لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تنزِيلٌ مِّنْ**

---

(١) سورة الشورى ، جزء من الآية / ٧

(٢) سورة يوسف ، الآية/٢

(٣) ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ سورة الزخرف، الآية/٣، وقوله تعالى ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ سورة الشعراء ، الآيات (١٩٢- ١٩٥) .

حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1] ومن ثم فهي لغة هذا الدين الأساسية. وبها انتشر الإسلام شرقا وغرباً، ونقلها الإسلام من مجرد لغة لقوم معينين، ينتمون إلى بيئة جغرافية محدودة إلى أن تكون لغة عالمية، يتحدث بها أو يفقه شيئاً منها - على الأقل- كل مسلم على وجه الأرض. واللغة العربية قادرة على أن تكون لغة العلم المعاصر كما كانت من قبل في الطب والصيدلة، والفلك والكيمياء، وغيرها من العلوم المختلفة، فهي لغة غنية بألفاظها ومفرداتها وأساليبها واشتقاقاتها، "وأية صعوبة فيها تجد لها وسيلة للتيسير عن طريق الإبدال أو الإعلال، أو القلب وما إلى ذلك، لأنها لغة قابلة للمجازات في التعبير[2]، كما تستطيع التعبير عن أدق القوانين العلمية والمخترعات الجديدة، إلى جانب قدرتها على التعبير عن أعمق مشاعر النفس الإنسانية".

ولقد تعرضت اللغة العربية خلال فترات زمنية ـ ولا تزال تتعرض ـ لحملات حاقدة من قبل البعض ، تستهدف النيل من لغة القرآن الكريم، وتسعى تلك الحملات المسعورة إلى التشكيك في لغتنا السمحة، ولكن هيهات .. هيهات أن تنال هذه الأقلام الحاقدة من لغة القرآن الكريم على الإطلاق.

---

(١) سورة فصلت ، الآية/٤٢

(٢) الثقافة الإسلامية - ثقافة المسلم وتحديات العصر، مرجع سابق، ص ١٢٩ .

ولن تفلح محاولات هؤلاء في الطعن في الإسلام والسنة النبوية المطهرة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك انتشار الدعوة إلى العامية، والترحيب بالتأليف والكتابة بها، والادعاء بأن اللغة الفصحى لا تستوعب منجزات العصر ولا تساير "العولمة" .. وغير ذلك من تلك الأكاذيب والافتراءات[1]

ولعل مما يبعث على السخرية في هذا المقام أن الداعين إلى نشر اللهجات العامية والمحلية والإقليمية في مختلف الأوساط والدوائر الثقافية والمنتديات الفكرية وعلى صفحات الجرائد اليومية في مصر وفي بعض الدول العربية، يخاطبون جمهورهم باللغة الفصحى[2] لأنها الأقدر ـ كما يدركون هذه الحقيقة ـ على توصيل أهدافهم وغاياتهم إلى هذا الجمهور الذي يريدون التأثير في وجدانه وأفكاره، وإقناعه بما يريدونه في هذا الصدد.

نخلص مما سبق بيانه إلى أن اللغة العربية تحتل أهمية خاصة بالنسبة إلى الحضارة العربية الإسلامية الوسطية، ذلك لأن قصة اللغة هي "قصة الحضارة الإنسانية"، كما يقول

---

(١) انظر أبرز الأمثلة على ذلك كتاب : مقدمة في فقه العربية، للدكتور لويس عوض، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م

(٢) من أحدث تلك الدعوات الهدامة، كتاب : لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، تأليف : شريف الشوباشي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م

د. أحمد أبو زيد[1]. فالحضارة لا تنعكس بوضوح في شيء مثلما تنعكس في الكلام واللغة والخبرة الإنسانية المتراكمة على مدى الزمن، حيث تجد تجسيدها في ألفاظها وتعبيراتها المفهومة، كما أنها عنصر أساسي في حياة البشر، ومن دون اللغة يستحيل القول بقيام حضارة إنسانية بحال من الأحوال.

ويمكننا ـ إذن ـ بيان أهمية اللغة العربية وضرورتها باعتبارها أداة تعبير ووسيلة تجسيد للثقافة والحضارة الإسلامية من خلال التأكيد على ما يلي:

١- اللغة العربية بالنسبة إلى الإنسان المسلم هي لغة القرآن الكريم ولغة الحديث النبوي الشريف، ولغة التشريع الإسلامي الذي يضبط حياة الناس وينظمها في كل زمان ومكان، وبغير هذه اللغة يستحيل الاجتهاد، لأن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لا يمكن فهمها إلا باللغة العربية، فهي شرط أساسي فيه والاجتهاد له أكبر الأثر في قوة الأمة الإسلامية، لأن حيوية هذه الأمة إنما تتجلى في قدرتها على حل المشاكل

---

(١) حضارة اللغة، (بحث) للدكتور أحمد أبو زيد، منشور في مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد/ أبريل - يونيو/١٩٧١م، ص١١

واستنباط الحلول للوقائع والأحداث "ولا يتأتي ذلك بغير اللغة العربية، ولذلك حرص المسلمون على دراستها مع دراسة الأحكام الشرعية، لأنه لكي ينتشر الإسلام واللغة العربية فلابد أن يسيرا جنبا إلى جنب"[1]

٢- ظهرت في الآونة الأخيرة دعوات تطالب الهيئات والمنظمات الدولية بضرورة اعتماد اللغة العربية لغة عالمية، ورُشحت اللغة العربية لذلك نتيجة اتساعها الزمني وامتدادها المكاني، لأنها ليست قاصرة في التعبير عن المفاهيم والعلوم والمخترعات والمصطلحات العلمية "وهي أقدر اللغات على التوالد والاشتقاق - كما أشرنا - وأسهل كثيراً من اللغات الأخرى في نحوها وإملائها ومصطلحاتها، فقد سبق أن كانت اللغة العربية هي اللغة الأولى منذ القرن الثامن الميلادي، كما كانت لغة العلم والحضارة"[2]

---

(١) الثقافة الإسلامية - ثقافة المسلم وتحديات العصر، مرجع سابق، ص ١٣١

(٢) نظرات في الثقافة الإسلامية، عبد المالك التميمي وآخرون، دارالفرقان، عمان ، الأردن، ١٩٩٢م، ص٢٠

٣- إن اللغة العربية ليست لغة أمة واحدة، أو قومية معينة، ولكنها لغة دين رباني وفكر إنساني عالمي، تعلمها المسلمون من شتى أجناسهم ولغاتهم وألوانهم طواعية واختياراً وحباً لها، ولا يعني ذلك إهمال المسلمين للغات الأخرى، بل ينبغي عليهم تعلم اللغات الأخرى اللازمة لهم، شريطة أن لا يطغى ذلك على تعلم اللغة العربية ليأمنوا مكر أعدائهم وليفيدوا من الخبرات العلمية والتجارب البشرية والمستجدات العالمية، بما يتفق مع مبادئ دينهم الإسلامي الحنيف وأحكام تشريعه الخالد الصالح لكل زمان ومكان.

أبيض

الفصل الثالث

الحضارة الإسلامية .. وموقفها من الآخر

تميزت الحضارة العربية الإسلامية بأصالتها وقدرتها على التأثير في دول العالم التي تمكنت من الوصول إلى شعوبها، وإبلاغها بالدين الجديد – الإسلام – وتعريفهم بقيمه ومبادئه السمحة، باعتباره الدين الخاتم لما سبقه من رسالات سماوية، ولكونه شريعة الله في هذا الكون، الصالحة لكل زمان ومكان، لقوله تعالى ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهّ الإِسْلاَمُ**﴾[1] وقوله ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[2]

وقد تركت حضارتنا الإسلامية منذ ازدهارها وتفوقها في العصور الوسطى (من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن العاشر الميلادي) بصماتها الواضحة على غيرها من الحضارات الأخرى، في مختلف المجالات الإنسانية والعلمية والمعمارية والفنية، "ولعل المخلفات الآثارية تعتبر من أبرز الأدلة المادية في تأكيد الموروث الحضاري العربي والإسلامي، الذي كان

---

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية /١٩

(٢) سورة آل عمران، الآية /٨٥

ثمرة جهود وخبرات تراكمت على مدى عصور الفتح الإسلامي الزاهرة"[1]

ولم تطرح قضية تحديد العلاقة بين الإسلام والغرب أو (الأنا والآخر) في الفكر الإسلامي المعاصر، إلاَّ في نهاية القرن السابع عشر للميلاد، حيث كانت الإرهاصات الأولى لانهيار الإمبراطورية العثمانية التي تمثلت في الهزائم العسكرية والامتيازات الأجنبية.

إن الإسلام هو الذي وفَّر لمسلمين غير عرب كانوا يعيشون في كنفه جواً من الحرية والتسامح والعدالة[2]، فجعلهم يقبلون على الإسهام في ذلك النشاط الحضاري بنفوس مطمئنة وعقول واعية متفتحة لا يطمسها التعصب الأعمى ولا الهوى الجامح، ومن الأمانة العلمية أن نقرر أن هذه الحضارة الإسلامية قدرت إسهامات هؤلاء المسلمين غير العرب في إثراء علومها ومعارفها في مختلف العصور، فهناك على سبيل

(١) للمزيد والتفصيل : انظر كتاب : المؤتمر السادس عشر للآثار والتراث الحضاري، الجزء الأول، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٣م، تحرير ومراجعة: السيد أحمد المخزنجي وآخرين.

(٢) للمزيد من التفصيل: انظر كتابنا : العدل والتسامح في ضوء الإسلام ، مرجع سابق.

المثال لا الحصر: الطبري، البخاري، البيروني، الخوارزمي، وابن سينا ... وغيرهم كثيرون لم يكونوا عرباً بالمعنى العرقي أو القومي، ولكنهم برزوا جميعاً في سماء الحضارة الإسلامية العربية، منطلقين في عملهم ونتاجهم وإبداعهم الفكري والمعرفي من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] وقول الرسول ﷺ **﴿لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى﴾**[2]

أما المشككون في ماضي الحضارة الإسلامية العربية وحاضرها ومستقبلها فيمثلون الجانب الهدام والمدمر لرصيدنا الحضاري حيث لا يرون في ماضينا إلا جموداً، ولا في حاضرنا إلا عجزاً وضعفاً يقعدان بنا عن مواصلة السير!

"وربما من هؤلاء من يرى في إحياء التراث الإسلامي العربي وتجديده نوعاً من الردة غير المستحبة، ويتهمون من يرعى هذا التراث أو يهتم به بالجمود والرجعية والتخلف"[3]

---

(١) سورة الحجرات ، جزء من الآية/١٠

(٢) رواه البخاري ، كتاب (الحج) .

(٣) انظر للمزيد والتفصيل للمؤلف بحثا بعنوان " دور التراث في بناء الحاضر وإبصار المستقبل " ، قدم إلى مركز البحوث والدراسات- بدولة قطر، عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (الفصل التمهيدي) .

وقد نسي هؤلاء – للأسف – أن الحضارة الإسلامية العربية لم تكن أبداً منذ مولدها مُنغلقة على نفسها، وإنما كانت دائماً – ولا تزال – مرنةً حيَّة، قابلة للأخذ والعطاء، واحترام الآخر وقبوله، فيما يعرف بـ "تلاقح الثقافات" و"حوار الحضارات" وليس صدامَها على نحو ما زعم البعض ذلك[1]

دحض فكرة صراع الحضارات :

يذهب البعض إلى أن لصراع الحضارات واقعا لا يمكن إنكاره، وهذا صحيح إذا اعتبرنا أن الإنسان بعامة مدفوع – بحكم جبلَّته – إلى التنافس والرغبة في السيطرة على هذه الأرض وامتلاك مقدراتها، من أجل الاستفادة بها وتطويعها لخدمة أهدافه وطموحاته في هذه الحياة، إلى جانب ضرورة توظيفه لتلك الإمكانات لتحقيق رسالة الاستخلاف في الأرض، عملاً بقول الله ﷻ ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[2] وقوله سبحانه ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾[3]

---

(١) انظر للمزيد والتفصيل ادعاءات كل من الكاتبين صمويل هنتجتن في كتابه (صدام الحضارات) ترجمة أحمد الشايب، طبعة دار (سطور) القاهرة، وفرانسيس فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) ترجمة حسين أحمد أمين، طبعة مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية/٣٠ .

(٣) سورة المطففين، جزء من الآية/٢٦ .

فالصراع الحضاري بين الأمم والأجناس البشرية بهذا المعنى موجود ومعترف به، لأنه صراع مستخلص من مفهوم عمارة الإنسان للأرض، كما في قوله ﷻ ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾(١) ولعل هذا يفسر لنا تنافس الأمم القديمة والمعاصرة في القدرة على الابتكارات والاختراعات والاكتشافات العلمية والصناعات الحديثة والمتطورة بكل الأساليب والوسائل العلمية والمادية، التي تهدف في نهاية الأمر إلى تحقيق أكبر قدر من الراحة والرفاهية للإنسان.

أما النوع الآخر من صراع الحضارات الذي لا يقرّه الإسلام، فهو ذلك الصراع الذي ينشأ بين البشر بهدف الطغيان والإفساد في الأرض واستعباد الإنسان لأخيه الإنسان، وتأجيج الصراعات والحروب بين البشر، ومحاولة سيطرة مذاهب أو أيديولوجيات فكرية منحرفة أو ملحدة، وفرض وجودها على العديد من المجتمعات الإنسانية وقهرهم أو إجبارهم على الالتزام بها، والحيلولة بينهم وبين الإيمان بالله وحده لا شريك له، وكذلك منعهم من الخضوع لهذا الدين الخالص، الذي هو خاتمة الرسالات في هذا العالم، هذا النوع

---

(١) سورة هود، جزء من الآية/ ٦١

من الصراع هو الذي يرفضه الإسلام ويدعو المؤمنين إلى مقاومته والتصدي له بكل الوسائل.

ومن ثم تجدر الإشارة إلى دحض الإسلام فكرة صراع الحضارات القائمة على الحروب الدامية، كتلك التي جرت - وتجري - في أوروبا، ومن أمثلة ذلك الحربان العالميتان الأولى والثانية اللتان نشبتا بسبب التنافس والصراع الاقتصادي بين دول أوروبا القوية - اقتصادياً وعسكرياً - وذلك بهدف السيطرة على العالم، فبسبب تلك الحروب والصراعات بين من ينتمون إلى حضارة واحدة، وهي الحضارة الغربية، ويختلفون في الوقت نفسه مذهبياً أو أيديولوجياً، وهو ما يؤكد أن "الاختلاف الأيديولوجي الحاد بين المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وما أعقبه من صراعات في فترة الحرب الباردة، قد قام أساساً بين دول تنتمي إلى الحضارة الغربية في ملامحها العامة، مما يوضح أن تلك الصراعات إنما تتصل بالخلاف

حول المصالح والأهداف السياسية والاقتصادية، وليس لها صلة بمفهوم الخلاف الحضاري في معناه وجوهره الحقيقي[1]

أما الحضارة الإسلامية فهي حضارة إنسانية بكل معاني الكلمة، تستهدف، أولاً وأخيراً، خير الإنسان في الدنيا والآخرة، والرحمة به، والحفاظ على كرامته، والنهوض بمستواه الروحي والفكري والاجتماعي والاقتصادي... ومنع استغلال الإنسان لأخيه الإنسان" قال ﷺ ﴿مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى﴾[2]، فالإنسان هو محور هذه الحضارة وسعادته هي غايتها وهدفها.

المثقف العربي .. والآخر :

هناك رؤى مختلفة للمثقف العربي بالنسبة إلى "الآخر" في الغرب، فالبعض منبهر بما وصل إليه الغرب من تقدم علمي وديمقراطية متمثلة في التداول السلمي للسلطة، وهو أمر

---

(١) قرب من هذا المعنى الدكتور جعفر عبدالسلام في بحثه بعنوان : "نحو بلورة معاصرة للعلاقة بين الإسلام والآخر" وهو منشور ضمن كتاب: الإسلام وحوار الحضارات، دراسات ووثائق، الناشر/ رابطة الجامعات الإسلامية- جامعة الأزهر- القاهرة ، ط/١٤٢٢/١هـ - ٢٠٠٢م، ص ٣٤ .

(٢) رواه أحمد ومسلم.

مفتقد في العالم العربي بشكل عام. "وهناك مثقف آخر رافض للغرب ويعتبره غازياً، يحاول فرض ثقافته وأسلوب معيشته، وعلينا مقاومته ورفضه، وثالث لا يجد سبيلاً إلا فتح الحوار وبناء جسور معه وإلا هُمِّشنا"[1]

وقد أجمع اللغويون على أن الاختلاف والمخالفة معناهما أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر في فعله أو قوله، والخلاف أعم من التضاد. وعلى هذا يمكن القول بأن الخلاف والاختلاف يراد بهما مطلق المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الهيئة أو الموقف، قال الله تعالى ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾[2]

فالإسلام هنا يعترف بالآخر وبقبوله وبشروط متساوية في الخلق والنشأة دون أن يحدد هوية الآخر أو نمط تفكيره أو انتماءه ، ويحدد سلفاً أن معيار التقويم الحقيقي للخطأ أو الصواب يتلخص في التقوى، وبمعنى آخر بنتائج سلوكيات ذلك الإنسان أياً كانت أصوله وجذوره أو انتماءاته وارتباطاته.

---

(١) المثقف العربي.. والآخر، قبول أم رفض أم لا مبالاة؟ د. ميلاد حنا، ندوة الثقافة وقضايا الحياة العربية الراهنة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م ، ص ٦٠ .

(٢) سورة هود ، الآية/ ١١٨ وجزء من الآية/١١٩ .

وصدق الرسول ﷺ في حديثه الشريف حيث يقول: ﴿الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى﴾[1]

والمطلوب منا كمثقفين عرب ومسلمين ألا ننبهر بالآخر أو نستسلم له أو نذوب فيه، كما لا ينبغي أن نرفضه أو نقاطعه أو ننفيه من ذاكرتنا وتعاملنا، بل هو أمر بين أمرين، أن نعترف ونقر بحقه في الوجود والتعبير عن ذاته كما هو، لا كما نريد نحن، وأن نقتبس منه ما يفيد، على أن نتمسك بجذورنا وأصالتنا، "أي نمزج بفعالية وحيوية بين التراث والأصالة، بين الجذور والفروع والأغصان... في حوار مفتوح ودائم بين الثقافات والحضارات"[2]

والآخر هو المختلف عنا في أي جانب من الجوانب التي نهتم بها، فقد يكون آخر من حيث انتمائه الاجتماعي، لعرق أو قومية أو قبيلة، "وقد تكون آخريته لجهة انتسابه الديني والثقافي لمبدأ أو مذهب أو مدرسة فكرية، كما يكون اختلاف التوجه السياسي أو النهج السلوكي سبباً لتشكيل الآخرية..

(١) انظر منهاج الصالحين.

(٢) د. محمد صادق الحسيني في تعقيبه على ورقة د. ميلاد حنا ، البحث السابق، ندوة الثقافة وقضايا الحياة ، المرجع السابق، ص ٧١ - ٧٩ .

وهكـذا يتحـدد الآخـر في مختلـف دوائـر اهتمامـات الإنـسان ومجالات تركيزه"[1]

وكما يقول البعض إن المعنى العام لمفهوم الآخر هو: الغير أي المختلف، وكانوا يطلقونه على الأشياء وأيضاً على الحالات المعنويـة. إن الآخـر هـو الـسوى المغـاير الـذي يقابـل الـذاتي والمشابه.

"والغير هو : أحد تصورات الفكر الأساسية، ويراد به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متغير عنه، ويقابل الأنا، ومعرفة الغير تعين على معرفة النفس"[2]

إن معرفتنا بالآخر تبدو أهميتها في تمكننا من كشف نقـاط قوته ومكامن ضعفه، ومن ثـم تتـضح لنـا مواقـع الاخـتلاف والتباين في وجهات النظر إزاء موقف ما أو قضية من القـضايا الفكرية أو العقدية التي تكون محل جدل أو حوار أو نقاش بين "الأنا والآخر".

---

(١) كيف تقرأ الآخر، للشيخ حسن صفار، مقال، بمجلة الكلمة، ع/٤٠ السنة العاشرة، صيف ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ ، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث (لبنان) بيروت، ص ٥ وما بعدها.

(٢) الآخر بوصفه مفهوماً: حول طبيعة تشكل الآخر في الوعي الإنساني ، مقال: ذكر آل حبيل، مجلة الكلمة، ع/٤٠ السنة (١٠) ٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ ، ص ١٢٥ وما بعدها.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن حركة الاستشراق التي قام بها الغرب تمثل أوسع نموذج منظم في هذا السياق، حيث اهتمت بدراسة الثقافات الشرقية (الآسيوية غالباً) وأوضاع المجتمعات الإسلامية في مختلف المجالات.

وقد اصطلح الكتاب المحدثون على تقسيم الآخر إلى نوعين: الآخر الخارجي المنتمي إلى حضارة وكيان آخر. والآخر الداخلي أو الجوَّاني وهو المختلف ضمن ذات الإطار الديني أو الوطني، حيث تعددت المدارس الفكرية والمذاهب الفقهية والتوجهات السياسية داخل المجتمعات الإسلامية. وهنا تكون حساسية الاختلاف أشد لأنه في الدائرة الأقرب... "وبالتالي فإن القراءة الصحيحة لهذا الآخر الداخلي هي أكثر إلحاحاً وأشد ضرورة"[1]

إنَّ القراءة الصحيحة فيما بين الأطراف (الأنا - والآخر) بطرفيه الخارجي والداخلي تؤسس للرؤية السليمة والتعامل الإيجابي، بينما خطأ القراءة ينتج سوء الفهم وعدم التفاهم

(١) الشيخ حسن صفار ، المقال السابق، ص ١١

ويـؤدي إلى علاقـات سـلبية[1]. ولـذا فالـسؤال : كيـف نقـرأ الآخر؟

ثمة من يضع عدة شروط أو (ملاحظات) يجب أن نضعها في الاعتبـار لتحقيـق **القـراءة الـصحيحة للآخـر**، ومـن تلـك الشروط أو الملاحظات ما يلي:

- إن قراءة الآخر عبر الوسائط لا توفر للقـارئ صـورة واضحة دقيقة لأن الوسيط قد لا يكون محايـداً فيتـأثر نقله بموقفه المنحاز، وقد يكون اطلاعه ناقـصاً، أو أن تكـون مـصادره غـير موثوقـة، أو اسـتنتاجاته غـير سليمة... إلى آخر ذلك من الاحتمالات.

الموضـوعية: ونعنـي بالموضـوعية هنـا أن تكـون القـراءة بهدف التعرف إلى الآخر على حقيقته وعن قرب منه، مـن دون ميـل أو انحيـاز مـسبق مـن جانـب القـارئ، وكـذلك تعنـي الموضوعية عدم إساءة التفسير لرأي الآخر وعمله مادام يحتمل وجهاً للصحة.

---

(١) انظر مثالاً على ذلك كتابي "تهافت التهافت" سلسلة التراث الفلسفي العربي - مؤلفات ابن رشد (٣) للدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ط/١٩٩٨/١م " وتهافت القراءة المعاصرة"، = = للدكتور منير محمد طاهر الشواف، (المحامي)، الناشر، دار الشواف للنشر والدراسات، ط/١٩٩٣/١م، والكتاب رد على مُؤلف بعنوان (الكتاب .. والقرآن) لمحمد شحرور.

الاستيعاب[1]: وذلك بالاطلاع على مختلف أبعاد الرأي الآخر، أما الاقتصار على جانب واحد على طريقة ﴿لا تقربوا الصلاة﴾ فهو يشكل قراءة ناقصة مبتورة، ومن سمات القراءة الخاطئة أن يهتم القارئ بالاطلاع على ثغرات الطرف الآخر ونقاط ضعفه ويتجاهل جوانب ومواضع إصابته، فتكون الصورة حينئذ مشوهة وقاصرة عند تقديمها للغير.

ومما يعنيه الاستيعاب معرفة الخلفيات الفكرية والتاريخية والاجتماعية التي أسهمت في تشكيل آراء الجهة المقروءة ومواقفها، فذلك يساعد على الفهم الصحيح والرؤية الواضحة.

وثمة من يقول: إن الوجود يعادل دائماً نفي الآخر، أياً كان هذا الآخر بشراً أو حجراً أو حياة، ولعل السبب الحقيقي الذي يقود إلى سيادة هذه المعادلة البشرية عبر التاريخ يعود إلى طبيعة المصالح وتناقضاتها التي تراها المجموعات البشرية حافزاً لتدمير الآخر وإلغاء خصوصيته وإلغائه من الوجود"[2]،

---

(١) الشيخ حسن صفار، المقال السابق، ص ١٦

(٢) محمد محفوظ، مقال بعنوان: (ثقوب في الوعي الاجتماعي، تحديات في عالم متغير)، مجلة الكلمة ع/٤٠، السنة (١٠) ٢٠٠٣/١٤٢٤هـ، ص ٤٢ وما بعدها.

وهذه رؤية وجودية مرفوضة من وجهة النظر الإسلامية الموضوعية.

ويتغذى هذا السبب باستمرار من منظومة فكرية تغرس الاعتقاد لدى المؤمنين بها بأنها تحتكر الحقيقة الوجودية وحدها، وتنكر على الآخرين ما عندهم من فكر ومصالح وقناعات تكون على الضد من قناعاتهم ومصالحهم!!.

ومن خلال تلك النظرة الثقافية القاصرة يرى البعض (الآخر) من منطلق أن السبيل الوحيد لضمان مصالح الذات والحفاظ على مكتسبات الأنا، هو النبذ والإقصاء والإلغاء، فذهنية العدوان تؤسس إلى خيار اجتماعي - ثقافي لا يرى وسيلة للحفاظ على مصالح الذات إلا بإلغاء الآخرين وسفك دمائهم!! وتلك هي بعض مبادئ الوجودية السارترية "التي تقوم على مبدأ" الآخرون هم الجحيم.

الثقافة الإسلامية وموقفها من عقيدة الآخر:

لقد أرسى الإسلام مبدأً بالغ الأهمية من النادر وجوده في عقائد الآخر إلى حد انعدامه، ألا وهو مبدأ "الحرية الدينية" الثابتة بموجب نصوص قطعية الدلالة يصعب حصرها هنا، مرسِّخةً في عقل المسلم وقلبه ووجدانه، ومحددة له - على أساسها - كيف يكون موقفه ونظرته إلى الآخر، خارج حدود

دولة الإسلام أو داخلها، قال الله تعالى ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[1] وقوله تعالى ﴿**فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾[2]، وقال مخاطباً خير رسله ﴿**أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾[3] وقال الله ﷻ - محدداً دور الرسل جميعاً ووظيفتهم: ﴿**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾[4] والأكثر من ذلك أنه أوجب عدم التعصب ضد العقائد الأخرى، وضرورة اتساع الصدر لأصحابها، ففي القرآن الكريم نجد هذه الآية الكريمة ﴿**اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ**﴾[5] وقال تعالى ﴿**لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[6] **وهكذا اقتضت حكمة الله أن تكون "التعددية الدينية والاختلاف العقدي"، سنة إلهية ماضية حاكمة، ولتتحقق الحرية الدينية كما أرادها الله تعالى**، تلك التي تقتضي هذا التعدد

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية/٢٥٦
(٢) سورة الكهف، جزء من الآية/٢٩
(٣) سورة يونس ، جزء من الآية/٩٩
(٤) سورة النحل ، جزء من الآية/٣٥
(٥) سورة الشورى، جزء من الآية/١٥
(٦) سورة يونس، جزء من الآية/٤١

والتنوع، قال الله تعالى ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1]

وسياق الآية الأولى يفيد بالقطع الثبوتي والدلالي: بقاء تلك التعددية واستمرارها وديمومتها، مشيئةً إلهيةً لا تبديل لها ولا تحويل، وتلكم هي أساس موقف الإسلام من عقيدة الآخر ومنهجه في أساس الاعتقاد.

والحق أن هذا المبدأ النافذ قد طُبق منذ بزوغ فجر الإسلام، وما إن تمكنت دعوته وانطلقت فتوحاته المباركة حتى انطلق معها إلى آفاق أرحب وأشمل، فقامت شواهد تؤكد هذا المبدأ في استبقاء واستمرار أهل الديانات الأخرى على عقائدهم، آمنين على شرائعهم وشعائرهم، "وكُتب الرسول ﷺ وخلفائه من بعده، لأهل نجران وبيت المقدس معروفة، وهي وثائق عملية تطبيقية لهذا النهج الإسلامي"[2] إن هذه التعددية الدينية انعكست في الواقع الإسلامي، الذي أوجد

---

(١) سورة هود ، الآية/ ١١٨ وجزء من الآية/١١٩.

(٢) الثقافة الإسلامية ودراسة عقيدة الآخر قراءة لمساهمة حضارية ، (بحث) للدكتور حمدي عبدالله الشرقاوي، (بحث) بمجلة: الشريعة والدراسات الإسلامية ، مجلس النشر العلمي، بجامعة الكويت، السنة/١٩ العدد/٥٨/رجب ١٤٢٥هـ - سبتمبر ٢٠٠٤م ، ص ٢٦٩ .

جواً من التسامح الديني والفكري والثقافي الفريد، والذي طبع علاقة المسلمين بغيرهم في ربوع الدولة الإسلامية كلها، ولم يجعل الآخر - في أغلب الأحيان - منطوياً على نفسه أو متقوقعاً حول ذاته، إنما اختلط وخالط، واحتك وتفاعل وتواصل، وقد وجد صدور المسلمين رحيبة، بموجب ما تفرضه عليهم عقيدتهم وثقافتهم الإسلامية، وليس ثمة فرائض أقوى من فرائض الدين تدعو إلى الالتزام بهذا المبدأ وتحض عليه.

وفي ظل ذلك اندفع المسلمون إلى المخالطة والتواصل والمعايشة مع غير المسلمين، التي نتج عنها - بطبيعة الحال - انفتاح وحوار اتسع نطاقه، ليشمل جانب الدراسة لديانة الغير، فهماً ووصفاً وتحليلاً ومقارنة ومعرفة. بل إن فرانزروزنتال: F.Rosscntal، الذي لا تخفى شهرته يقرر: إنَّ الغرب اليوم لا يسعه إلا أن يعترف صراحة بأن علم مقارنة

الأديان هو أحد الإنجازات الرفيعة للثقافة الإسلامية التي أسهمت به في التقدم الفكري للإنسانية[1]

وبهذه الأحاسيس التي هي مزيج من حب الاستطلاع والرغبة في التعلم داخل إطار من حرية الرأي والبعد عن الكبت الفكري والتسامح إزاء التراث الحضاري للسابقين – أياً كانت مللهم ونحلهم وعقائدهم – أقبل المسلمون الأوائل في شغف على معارف السابقين ، وتفحصوا كتبهم وراحوا يدرسونها ويناقشون ما فيها من سلبيات ويصححون ما قد يصادفونه فيها من أخطاء، ويضيفون إليها الجديد من المعلومات التي يتوصلون إليها أثناء مسيرتهم مع تراث هؤلاء السابقين، وتفهمه من خلال ترجمتهم ذلك التراث إلى اللغة العربية[2]

وهكذا أكد الإسلام مفهوم الوحدة الجامعة للمركب الحضاري " دار الإسلام" على رغم التنوع في اللغات أو التراث التاريخي أو السلالات العرقية. وقد كان تاريخ

---

(١) دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، للدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرين، الناشر: ذات السلاسل، الكويت، ط/٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٨٢ .

(٢) G.Haider Aasi: Muslim contributions in the Comparative Religions. AMSS.N.Y.١٩٩٠

الشعوب والبلدان الإسلامية مثالاً فريداً لترابط الجانبين الروحي والمادي في حضارة تقوم على أساس الدين الخالص، وقد توجد معها ثقافات دنيوية أخرى لكنها تستوعبها في الوقت نفسه.

نخلص من ذلك العرض إلى عدة نتائج هي:

- إن الثقافة الإسلامية ، تقرُّ صراحة بحق كل إنسان ابتداءً في حرية ما يعتقد وما لا يعتقد، كما تقرُّ أيضاً مبدأ التعايش الإيجابي للثقافات والأديان، أي أنها تقر بإمكان التعددية الدينية والثقافية في المجتمعات الإسلامية بوجه عام.
- على رغم أن المسلمين كانوا الغالبين، وكانت السيادة لحضارتهم ودولتهم، فقد أصغوا إلى "الآخر"، ودرسوا معتقداته الدينية بمختلف مداخل المنهجية، وكان جانِبُها النقدي الجدلي - بموجب عقيدتهم ودينهم - نقد تصحيح وتقويم، لا نقد خصومة واستعلاء[1]
- لقد كان للثقافة الإسلامية فضل السبق في دراسة عقيدة الآخر، دراسة علمية منهجية ذات مداخل متعددة متنوعة

(١) الثقافة الإسلامية ودراسة عقيدة الآخر ، د. حمدي الشرقاوي، بحث سابق، ص ٢٩٤ .

- قبل أن تعرفها أوروبا الحديثة بعشرة قرون، الأمر الذي أدى إلى نشأة علم مقارنة الأديان ونضجه، وتلك إحدى علامات المعرفة الإنسانية المضيئة في الحضارة الإسلامية التي أقر بها غير المسلمين من المستشرقين.

نظرة المفكرين المسلمين المعاصرين إلى الآخر:

يعد المفكر الإسلامي محمد إقبال في طليعة الكتاب والمفكرين المسلمين الذين تعرضوا لقضية تحديد طبيعة العلاقة بين المسلمين والحضارة الغربية، من خلال مناقشة قضية التوفيق بين الأصالة والمعاصرة. " وقد تمثل ذلك في محاربة إقبال للبدع والخرافات باعتبارها أحد دروب الجاهلية، وتأكيده على ضرورة الالتزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية في شتى مجالات الحياة"[1]

غير أن محمد إقبال يأخذ على دعاة حركات الإصلاح الديني في العصر الحديث من أمثال الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١٧٠٣- ١٧٩٢) وشاه ولي الله الدهلوي (١٧٠٣-١٧٦٢) والسيد أكبر حسين بن تفضل حسين

(١) في هذا المعنى : الدكتور/ عصمت نصَّار في كتابه: الصراع الثقافي والحوار الحضاري في فلسفة محمد إقبال، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط/٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣، ص ١٢

(١٨٤٦-١٩٢١) وأبو الأعلى المودودي (١٩٠٣-١٩٧٩م) .. يأخذ على هؤلاء عزوفهم عن العلوم الغربية الحديثة ، واقتصارهم على الرصيد الفقهي في التأويل، وغلقهم باب الاجتهاد في فهم الأحكام الشرعية ، واقتصارهم على نصوص الأحاديث النبوية الشريفة في الفتوى دون تمحيص لها، وإهمالهم متطلبات ومستجدات الواقع والحياة المعاصرة، حيث يرى إقبال - رحمه الله - **أن الإصلاح والأخذ بتلابيب الحضارة يجب أن يقوما على قاعدة الجمع بين الموروث الفكري والتاريخي والجديد الوافد من مستجدات العصر في مجالاته المادية، مع ترسيخ القيم الإسلامية والدينية في ذواتنا**، وهو ما يحقق العصمة ويُنجي من الغلو في التشيُّع للقديم والافتتان بالحداثة أيضاً[1] مؤكداً على أن يقظة المسلمين المنشودة مرهونة بنتيجة الصراع نفسه بين الإسلام الغرب، وقدرتنا على الوقوف من الآخر موقف الند الواثق من أصالته، "وذلك لن يتأتى إلا بتأمل العلماء لذواتهم وتقويمهم لأنفسهم، "ونقد (الآخر) بالأسلوب والمنهج نفسه الذي حقق له تقدمه، في الوقت نفسه الذي أفل فيه نجم حضارتنا، فأصابنا ما أصابنا من تخلف وتراجع حضاري بين الأمم!!"[2]

---

(١) د. عصمت نصار، المرجع السابق ، ص ١٣
(٢) المرجع السابق، ص ١٤ ، ٢٣

ولذلك حذر إقبال - رحمه الله - من أن التعصب للقـديم سيؤدي إلى الجمود والتقهقـر، وفي المقابـل فـإن اتبـاع الغـرب والانفـصال عــن الأصــول والتنكــر للــتراث والتنــازل عــن الشخصية والذاتية الإسلامية والعربية تؤدي كلهـا إلى فقـدان التراث الذي هو جزء أساسي في حضارتنا الإسلامية.

ولذلك يـرى إقبـال ضرورة الجمـع بـين العلـوم الدينيـة والعلوم الطبيعية في البرامج الدراسية على اختلاف مراحلهـا، ويتفق في ذلك مع دعوة الشيخ محمد عبده ومدرسته العقلانيـة التي تنادي بالانفتاح على الغرب والاستفادة بمنجزاتـه الماديـة الحضارية.

شهادة المفكرين الغربيين للفتح الإسلامي :

تجدر الإشارة إلى ما ذكره بعض المؤرخين الغربيين، تعليقاً على سياسة الفتح الإسلامي وآثـاره في إسـبانيا. حيـث يقـول المستشرق الإسباني "رينهارت دوزي" ما نصه : "لم تكن حـال النصارى في ظـل الحكـم الإسـلامي ممـا يـدعو إلى كثـير مـن الشكوى بالنسبة إلى ما كان عليه من قبل. أضـف إلى ذلـك أن العرب كانوا يتحلون بكثير من التسامح، فلم يرهقوا أحـداً في شئون الدين، ولم يغمط النـصارى للعـرب هـذا الفـضل، بـل حمدوا للفاتحين تسامحهم وعدلهم وآثروا حكمهـم عـلى حكـم

الجرمان والفرنج، وانقضى القرن الثامن كله في سكينة بين الفريقين"[1]

ويقول دوزي أيضاً عن آثار الفتح الاجتماعية: "كان الفتح العربي (الإسلامي) من بعض الوجوه نعمة لإسبانيا. فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية مهمة، وقضى على كثير من الداءات التي كانت تعانيها البلاد منذ قرون... ثم كان الفتح عاملاً مهماً في تحسين أحوال الطبقات المستعبدة، إذ كان الإسلام أكثر تعضيداً لتحرير الرقيق من النصرانية، كما فهمها أحبار المملكة القوطية، وكذا حسنت أحوال أرقاء الضياع، إذ غدوا من الزراع تقريباً، وتمتعوا بشيء من الاستقلال والحرية.

أما الأستاذ لاين بول فيقول: "ما كان المسلمون كالبرابرة من القوط أو الوندال يتركون وراءهم الخراب والموت، حاشا، فإن الأندلس لم تشهد قط أعدل وأصلح من حكمهم"[2]

وأما المستشرق الإسباني جاينجوس فيقرر: "لقد سطعت في إسبانيا (الأندلس) أول أشعة لهذه المدنية التي نشرت ضوءها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية... وإلى

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس (من الفتح بداية عهد الناصر) للدكتور/ محمد عبدالله عنان، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (مكتبة الأسرة) ٢٠٠١، ص ٦٤

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

حكمة العرب (المسلمين) وذكائهم ونشاطهم، يرجع الفضل في كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها" ا.هـ.

لقد كان تسامح الإسلام نبراساً يشع ضوءه المنقذ على تلك المجتمعات، ولم ير الإسلام بأساً من أن يستقبل النصارى واليهود إلى جانب المسلمين في مجتمع واحد، يسوي بينهم في الحقوق والواجبات، ولم ير بأساً من أن توجد الكنائس والبيع إلى جانب المساجد. ألم يكن ذلك أبدع وأروع ما في سياسة الفتح الإسلامي؟

ولعل فيما ذكره هؤلاء المستشرقون والمؤرخون الغربيون دليلاً واضحاً على ما تمتاز به سياسة الفتح الإسلامي لتلك البلاد من اعتدال وتسامح، وردا قاطعا على ما ينسبه بعض الكتاب الغربيين غير المنصفين إلى الإسلام من تعصب ضد غير المسلمين على خلاف الحقيقة والواقع.

التطبيق العملي للإسلام في علاقته بالآخر:

وفي دولة النبوة - بالمدينة المنورة - سنّ رسول الله ﷺ ثلاث سنن جسّدت حكمة الإسلام في العلاقة بالآخر الديني - الكتابي منه والوضعي: اليهود والنصارى.. والمجوس ومن ماثلهم - .. ولقد صيغت هذه السنن النبوية، المعبرة عن هذه

الحكمة الإسلامية في وثائق دستورية، طبقها الرسول الكـريم، ورعتها دولة الخلافة الراشدة، وظلت مبادئهـا مرعيـة إلى حـد كبير عبر تاريخ الحضارة الإسلامية وأوطان الإسلام.

وأولى هذه الوثائق الدستورية" الـصحيفة .. الكتـاب" – دستور دولة المدينة المنورة – الذي وضعه رسـول اللهﷺ عقـب الهجرة، وفور إقامـة "الدولـة" ليحـدد إطارهـا ومكوناتهـا في رعايـة الأمـة الإسـلامية .. والحقـوق والواجبـات لوحـدات الرعية، بمن فيهم الآخر الديني – اليهود العـرب وحلفـاؤهم العبرانيـون – وليحـدد كـذلك المرجعيـة الحاكمـة للدولـة ورعيتها..

وفي هذه الوثيقة الدستورية تحدثت موادها – التـي زادت على خمسين مادة – عن التنوع الـديني في إطـار الأمـة الوليـدة والدولة الجديدة، وعن المساواة بين الفرقـاء المتبـاينين، فقالـت عن العلاقة بين المسلمين واليهود – أي عن التنـوع الـديني في إطار وحدة الأمة ".. ويهود أمة مـع المـؤمنين، لليهـود ديـنهم وللمـسلمين ديـنهم.. مـواليهم وأنفـسهم.. وأن بطانـة يهـود كأنفسهم، إلا من ظلـم وأثـم، فإنـه لا يوتـع – [يُهلـك] – إلا نفسه وأهل بيته.. ومن تبعنا من يهود فإن له النـصرة والأُسـوة مع البر المحض من أهـل هـذه الـصحيفة، غـير مظلـومين ولا

مُتَنَاصَر عليهم.. ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .. على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.."[1]

ويعلق د. محمد عمارة على هذه الوثيقة قائلاً: كانت هذه الوثيقة الدستورية أول "عقد اجتماعي وسياسي ديني" حقيقي - ليس مفترضا أو متوهما!- يكتفي بالاعتراف بالآخر، وإنما يجعل الآخر جزءاً من الرعية والأمة والدولة - أي جزءاً من الذات - له كل الحقوق ، وعليه كل الواجبات، وذلك في زمن لم يكن فيه طرف يعترف بالآخر على وجه التعميم والإطلاق..![2]

أما الوثيقة الدستورية الثانية، فهي خاصة بالعلاقة مع الآخر النصراني وضعها رسول الله ﷺ لنصارى نجران - عهداً لهم عبر المكان والزمان - وذلك عند أول علاقة بين الدولة الإسلامية والمتدينين بالنصرانية.. وفي هذا العهد الدستوري كتب رسول الله ﷺ : "لنجران وحاشيتها، وسائر من ينتحل

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الرشيدة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦م، ص ١٥ وما بعدها.
(٢) في فقه الحضارة الإسلامية، للدكتور/ محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط/١/١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، ص ١٤٣

دين النصرانية في أقطار الأرض حيث جاء فيها : جوار الله، وذمة محمد رسول الله، (أي أن لهم على رسول الله حق الدفاع عن أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.. وأن أحمي جانبهم، وأذب عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح.. وأن أحرس دينهم وملتهم أينما كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي.. لأني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم"[1]

وهكذا بلغت هذه الوثيقة - التي أشرنا إلى سطور من صفحاتها - في الاعتراف بالآخر الديني، والقبول به، والتكريم له، والتمكين لخصوصياته، والاندماج معه، ما لم تبلغه وثيقة أخرى عبر التاريخ الإنساني القديم منه والمعاصر أيضاً، مع ميزة كُبرى وهي جعلها هذا التنوع والاختلاف في

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ١٢٣ وما بعدها، نقلاً عن :فقه الحضارة: للدكتور محمد عمارة، المرجع السابق، ص ١٤٤ .

إطار وحدة الأمة، تجسيداً لحكمة الدين الإسلامي في العلاقة بالآخر[1]

وبهذه الحكمة الإسلامية في النظرة إلى الآخر الديني حقق الإسلام مبدأ الاعتراف بالآخر وحقوقه .. والقبول به .. والتمكين له.. إلى حيث جعل هذا "الآخر في الشريعة" جزءاً معلوماً في نسيج الوحدة الدينية الإسلامية وذلك لأول مرة في تاريخ العلاقات الإنسانية بين أبناء الديانات والحضارات.

وهكذا يمكننا القول: إن أي نهوض أو بناء حضاري يتجاهل (الآخر) أو يتجاوزه لا يفيد المسلمون من إيجابياته، بل يعتبر نهوضاً معزولاً عن الرؤية الإنسانية، في الميدان الحقيقي للرسالة الإسلامية.

وهكذا فالإسلام - في أحد سماته - يعني ضرورة استيعاب (الآخر) وتقويم تجربته، على نحو ما بين القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا**

---

(١) د. محمد عمارة، المرجع السابق، ص ١٤٥ ، وانظر كذلك كتابنا : العدل والتسامح في ضوء الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط/٢/١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(١)

والحق أننا لو استعرضنا الكثير من سور القرآن الكريم لوجدنا أن الحديث عن (الآخر) بعقائده وعباداته وعلاقاته الاجتماعية وممارساته اليومية ومواقفه من النبوة وعواقب تصرفاته، تشكل مساحة كبيرة جداً من آيات الذكر الحكيم.

ولذلك لا يمكن اعتبار معرفة (الآخر) والتحاور معه والإفادة منه عدولا عن حكمة الإسلام الحضارية، وإنما ذلك عين منهج الإسلام، بل يكاد يكون هدف المنهج القرآني في وجه من الوجوه.

قال تعالى ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۞ هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾**(٢)

وللأسف الشديد فإن كثيرا من المسلمين اليوم يذهبون إلى بلاد الحضارات الأخرى، لكنهم يقرأون الحضارة الغربية

---

(١) سورة الروم ، الآية/٩
(٢) سورة آل عمران ، الآيتان/ ١٣٧ - ١٣٨

قراءة خاطئة ، وقد تُسخّرهم وتسحرهم، بدل أن يسخروها ويتجنبوا أخطاءها ويفيدوا من إيجابياتها.

ولابد من التأكيد على **أن الحوار مع الآخر** وإتاحة الفرصة لتبادل الرأي للوصول إلى قناعات معينة، أو للوصول إلى صيغ مشتركة للتفاهم والتعاون، **هو مطلب إسلامي، وإحدى وسائل الدعوة والبلاغ المبين**، إذا توافر للحوار شروطه من إتاحة الفرص المتكافئة وتحرير موضوع الحوار، والالتزام بآدابه وأخلاقه، بل هو تكليف شرعي عقدي، يقع تحت مدلول قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[1]

ويرى المفكر الإسلامي المعاصر عمر عبيد حسنة أن المُبادأة بالحوار والدعوة إليه يجب أن تبدأ من جانب المسلم، وأن يكون المسلم أكثر حرصاً على ذلك مع الآخر، "وأن يكون الحوار بالتي هي أحسن حتى لا يكون مُنفِّراً وحتى يُحقق الاقتناع عن اختيار، ولا يشكل حاجزاً نفسياً يحول بين الآخر والإسلام، خاصة أن الإسلام لا يخص جنساً ولا لوناً ولا قوماً بعينهم"[2] وإنما هو رسالة الله عز وجل إلى الناس أجمعين.

---

(١) سورة النحل ، جزء من الآية/١٢٥

(٢) تقديم عمر عبيد حسنة لكتاب: نحن والحضارة والشهود ، مرجع سابق، ص ٢٧ .

إن الحضارة الإسلامية هي - في حقيقتها وتاريخها ونتاجها - حضارة إنسانية لا تخص جنساً أو عرقاً أو منطقة جغرافية أو طبقة اجتماعية، وإن كان العرب وبلادهم قاعدتها، بدليل أن معظم آيات القرآن الكريم المكية **جاءت لتؤكد الوحدة الإنسانية وتحطم الفوارق التمييزية**، قبل أن يكون للمسلمين أمة أو دولة أو حكومة أو موقع جغرافي على هذه الأرض. قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1]

أزمتنا الحضارية المعاصرة!!

ومن الفضائح العلمية وربما التاريخية للمفكرين الغربيين، أن نجد الكاتب الأمريكي "بول كينيدي" PAUL KENEDY، يقرر في كتابه بعنوان: "الإعداد للقرن الحادي والعشرين" (إن العالم الإسلامي يفتقد "ثقافة المشروع" وهو مصطلح أمريكي يعني انعدام الرؤية المصيرية المتكاملة، أو افتقار الهدف الأمثل لغاية التنمية والتقدم[2]" وعدم السعي لتنفيذها بوسائل التربية

(١) سورة الحجرات ، جزء من الآية/١٣

(٢) انظر: مجلة الهلال الشهرية القاهرية، عدد أكتوبر ١٩٩٣م، عرض للكتاب، للدكتور/ السيد أمين شلبي.

من خلال المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم الإسلامي!!

إن المسلسل الغربي الجهنَّمي لضرب الإسلام لا يتوقف لحظة على مدى التاريخ القديم والمعاصر، وإنما يتغير غلافه الخارجي بتغير الأحوال والأزمان، فالذي كان احتلالاً أو انتداباً أصبح يُسمى **"مقتضيات النظام العالمي الجديد"** ، والذي كان تنصيراً مباشراً أصبح **ينعت "بالتنوير"**، والذي كان اسمه استعمار الشعوب المسلمة أصبح يكنى بكنية لطيفة بحيث تبدو **مقبولة هي "مقاومة الأصولية"** ، والذي كان يعرف بالقضاء على اللسان العربي أصبح اسمه الجديد : "كونية الثقافة" أو "إنسانية المعرفة" أو "الثقافة الكونية"[1]، أو العولمة ... إلى آخر ذلك من الألقاب والألفاظ والمسميات!!

---

(١) انظر في ذلك على سبيل المثال كتابات السيد ياسين في جريدة الأهرام القاهرية، وبعض كتبه مثل: حوار الحضارات، الغرب الكوني والشرق المتفرد، الهيئة المصرية العامة للكتابة، القاهرة (مكتبة الأسرة) ٢٠٠٢م.

الفصــل الرابــع

تراثنا الحضاري.. كيف نحميه؟

إذا كانت الحضارة في مفهومها العام هي "ثمـرة كـل جهـد يقوم به الإنسان لتحسين ظـروف حياتـه، سـواء كـان المجهـود المبذول إلى تلك الثمرة مقصودا أو غير مقـصود، وسـواء كانـت الثمرة مادية أو معنوية"[1]. فثمة حضارات عريقة ظهرت في العالم العربي الإسـلامي يـشهد التـاريخ الإنـساني بأثرهـا ومـساهمتها الفاعلة في الحضارة الإنسانية على هذه الأرض.

وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشـد الارتبـاط بالتـاريخ، لأن التاريخ هو الزمان، كما أن الحضارة لا تقتصر – في الواقـع – على المنشآت أو المباني العظيمة، كالأهرام أو قصر فرساي أو العمائر التي تـصعد في الجـو وكأنهـا تنـاطح الـسحاب، كـما في نيويورك مثلاً، بل إن أوضح وأصدق صورة للحضارة نجدها في سائر الاكتشافات التي تقوم عليها حياة البشر، وعبر مراحل التاريخ الإنساني وتطوره.

(١) د. حسين مؤنس، الحضارة، (عالم المعرفة)، مرجع سابق، ط٢، ع٢٣٧، ص ١٥.

مفهوم التراث الحضاري :

من المهم جداً تحديد مفهوم التراث الحضاري الذي يعني ذلك المخزون المعرفي والمادي الذي يكشف عما يدل عليه التطور الحضاري للمجتمع والدولة من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعمرانية، وما يمثله ذلك من المباني أو المواقع الأثرية، باعتبارها تمثل إحدى مراحل التطور الحضاري في دولة من الدول لفترة معينة، حسب تعريف الأثر في كل دولة، ومن ثم فقد عُرِفَتْ حضارات مهمة في منطقة الخليج وبلاد المغرب العربي، تداخلت فيما بينها بما يشبه الاختلاط أو الامتزاج، أو التشابه في أحيان أخرى، الأمر الذي تثبته الآثار المكتشفة في تلك البلاد من خلال العثور على اللُقي الأثرية من خلال الآثار والحفائر الموجودة في كل منها.

وغني عن القول أن الوطن العربي يشكل وحدة حضارية واحدة، ذات ملامح مشتركة، تعود في قدمها وتاريخها السحيق إلى العصور القديمة، ثم توالت على مر التاريخ فترات حضارية مختلفة، مثل العصور البرونزية والحديدية، والفترات الهيلينستية، والرومانية، وصولاً إلى الحضارة الإسلامية التي مضى عليها أكثر من أربعة عشر قرناً حتى الآن، وعلى الرغم

من أن تاريخ البحث الأثري المنظم في الوطن العـربي لم يمـض عليه أكثر من قرنين من الزمان، فإن الباحثين المعنيـين أظهـروا الكثير من المعلومات الحضارية عن هذه المنطقة العربية.

وهناك العديد من مفاهيم الحفاظ على التراث الحضاري، فمنها ما يُعنى بصيانة الشواخص والمبـاني والأحيـاء والحفـاظ عليها كما كانت موجودة، وربـما كانـت صـيانة المبـاني الأثريـة أقرب إلى هذا النوع.

"إن أهم متطلبات الحفاظ على التراث الحضاري هو إيجـاد وعي عام للحفاظ عليه، سـواء مـن قبـل الأفـراد والمجتمـع، أو مؤسسات الدولة، إلى جانب وجود تشريع أو سـند قـانوني مـن أجل الحفاظ على شواهد هذا التراث، مـع إيجـاد مـصادر تمويـل تغطي عملية حفظه والعناية به.

ومن ثم فقد اسـتطاع العـرب المـسلمون عـن طريـق مـا اقتبسوه من الفن الساساني والمصري والبيزنطي أن يكوّنوا لهم فنا مميزا " بذلك كان الفن العربي في العـصر الإسـلامي عبـارة

عن تجميع لكل هـذه الفنـون وتطويعهـا للمفهـوم الإسـلامي الراقي"[1].

العمارة والزخارف الإسلامية :

وتتميـز العـمارة والزخـارف الإسـلامية بتـشكيل بـسيط للغاية، غير أن هذه الظاهرة تعوضـها تلـك الثـروة الزخرفيـة العظيمة، والألوان الجميلة المتباينة، التـي ترسـم عـلى أسـطح دقيقة الصنع من المصيص المشكل، والنقوش التي ترسـم عـلى لوحات كبيرة والكرانيش المزركشة، والنقش الذي يكون غالبا سطحيا أو على حفر منخفض، وعلى الجانـب الآخـر نجـد أن تعدد الألوان والتذهيب يلعبان دوراً مهما في الفن الإسـلامي، إلا أنه ـ للأسف ـ قد تحطم أغلبـه وضـاع الكثـير مـن نفائـسه الفنية على مر العصور!

لقـد أبـدع العـرب في القـرون الهجريـة الأولى أشـكالا معمارية أصيلة فوق ما ورثوه من تقنية الأشكال المعمارية التـي خلفتها الحضارات السابقة كالبيزنطيـة والـساسانية، وفـترات

---

(١) د. محمـد عبـد الله الحمـاد ومـصطفى حمـاد، بحثهمـا: الـتراث المعمـاري العربي الإسلامي والمحافظة عليه في بيئته، ص١٤ ، منشور ضمن أبحـاث كتـاب: الحفـاظ علـى الـتراث المعمـاري الإسـلامي، المعهـد العربـي لإنمـاء المدن، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٩م، ص١٤٩ .

النـصرانية الأولى والمـصرية القديمـة. "وكانـت المـشاركة الإسلامية قد تركزت في فن العمارة الإسلامي الـذي يـستقي منهجـه مـن تعـاليم الإسـلام"[1] مـن خـلال أنـماط جديـدة تـستجيب لأحكـام الـشريعة الـسمحة، سـواء كـان ذلـك في العبادات أو في العلاقات الاجتماعية ، أو في الحفاظ على حرمة وخصوصية المساكن، مع تهيئة الظروف المناسبة للتمتع بالحيـاة الإنسانية المستقيمة، عملا بقوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَـرَّمَ زِينَـةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُـواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَـةِ كَـذَلِكَ نُفَـصِّلُ الآيَـاتِ لِقَـوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾"[2]

لقد بقيت طرز العـمارة العربيـة في العـصر الإسـلامي في مـدننا العربيـة محتفظـة بطابعهـا المميـز القـديم، وشخـصيتها العربية ، وسماتها الحضارية العريقة حتـى لا يـستطيع أحـد أن ينكرهـا أو يتجاهلهـا، لارتباطهـا القـوي بالإنـسان المـسلم وعقيدته الدينية السمحة، خاصة في وحدات زخارفها، حيـث اتباعها الأساليب التي لا تتعارض مع تعاليم الدين الحنيـف،

---

(١) انظر للمزيد والتفصيل : العمارة الإسلامية والبيئة، للدكتور مهندس/ يحيى وزيري، عالم المعرفة، الكويت، ع/٣٠٤، ٢٠٠٤م ص٢٧- ٤٦ .
(٢) سورة الأعراف، الآية/ ٣٢

والتي بنيت على أساسها مباني الجوامع القديمة التي بناها السلف الصالح، وتحددت عناصرها بما تتطلبه حاجة الإنسان المسلم في بيئته، وبما يتفق مع العادات والتقاليد والقيم الدينية الإسلامية السامية[1]

التراث المعماري وأنواعه :

يعتبر من التراث كل ما شيده الأجداد من الحضارة في المدن وخارجها من عمائر دينية كالمساجد ودور العلم، والزوايا والخانقات والرباطات والتكايا وعمائر المدينة، كالقصور والمنازل والأسواق، والخانات والبيمارستانات (المستشفيات) والحمامات والأسبلة[2]

ومن ثم تجدر الإشارة إلى أن بيوت الله ﷻ، أو المساجد التي بنيت لعبادة رب العالمين تعتبر من المباني الأثرية التي يجب المحافظة عليها وتعميرها، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾[3]

---

(١) العمارة الإسلامية والبيئة، د.يحيى وزيري، المرجع السابق، وللمزيد والتفصيل انظر ص٣٢- ٤١

(٢) جمع سبيل وهي الأماكن المخصصة للماء البارد ليشرب منها كل عابر سبيل في الطرقات والأماكن العامة في المدن الإسلامية.

(٣) سورة التوبة، جزء من الآية/١٨

فالمساجد الإسلامية ـ كما هو معروف ـ تفيض بإشعاعها الديني والروحي على المؤمنين، وهي التي تربط بين عمارة الماضي القديم الذي عاش فيه أجدادنا، والحاضر الذي نحيا فيه، والمستقبل الذي سيعيشه أبناؤنا.

وهذه العمائر والمباني التاريخية، سواء كانت كاملة أو منقوصة أو أطلالا، تعتبر جزءاً من التراث المعماري الجدير بالعناية والاهتمام. وقد تعرضت تلك العمائر والمباني التراثية خلال تاريخها الطويل لأخطار وأضرار، كان مصدرها أحيانا تقلبات الطبيعة الجوية أو المناخية، أو الإنسان نفسه بتعديه على تلك الآثار بسبب جهله أو سوء استعماله،أو تشويهه لهذا المبنى أو ذلك بتغيير معالمه الأصلية، أو بإزالة أجزاء منه، أو بإجراء إصلاحات رعناء باستعمال المواد الحديثة والدهانات التي تؤدي إلى طمس بعض عناصر البناء الأثرية، ومن ثم قيمته التاريخية والجمالية معا!!

إن المسؤولين والمتخصصين والمعماريين والمخططين يتحتم عليهم اليوم العمل جنبا إلى جنب، لحشد الطاقات والإمكانات والتعاون والاستفادة من الأبحاث والتجارب العملية، لتدارك هذا الخطر المحدق بالتراث الحضاري

والمعماري للمدن الإسلامية في عالمنا العربي والإسلامي بوجه عام.

وتأسيسا على ذلك يجب علينا أن نُوكل عملية تخطيط وتعمير بيوت الله إلا لمهندسين ومنفذين وأثريين مسلمين، أولئك الذين يزخر بهم عالمنا العربي والإسلامي الكبير، لما يمثلونه من كفاءات علمية وخبرات هندسية وأثرية وفنية متخصصة، بإمكانها أن تقوم بهذا العمل على أكمل وجه.

والجدير بالذكر أنه قد تضافرت الجهود من مختلف المؤسسات والدوائر الرسمية لترميم وإعادة إحياء عدد من المواقع الإسلامية، فكانت التنقيبات الأثرية خير دليل وشاهد على عمق الإرث الحضاري، وهكذا نجد أن المسلمين العرب كانوا في طليعة الشعوب التي تهتم بالتراث الحضاري وتحافظ عليه.

تحديات الحفاظ على التراث الحضاري :

تواجه أمتنا العربية والإسلامية الآن تحديات كبيرة من أجل الحفاظ على تراثها الحضاري المعماري، الذي كادت تفقد فيه هويتها الإسلامية بسبب موجات التغريب والتغييرات الجذرية في البيئة العمرانية الإسلامية، بل ربما في

معالمها التاريخية الأثرية التي كانت نتاجا وجمعا للتراث الإسلامي الخالد .

ولهذا فالسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن المحافظة على تراثنا الحضاري بوجه عام والمعماري الإسلامي بوجه خاص؟

للإجابة عن هذا السؤال نجد أن الصعوبات الاقتصادية هي أهم المشكلات التي تواجه عمليات حماية التراث المعماري الإسلامي، ذلك لأن هذه الحماية تتطلب إنفاق مبالغ كبيرة من أجل تملك المناطق والأراضي المحيطة بالمساجد والمراقد (أي المدافن)

"ومن المشكلات الاجتماعية الأخرى مشكلة ضعف الوعي التراثي لبعض فئات المجتمع وعدم الاهتمام بهذا التراث ، ورغبة المخططين في إظهار المدينة بمظهر حديث ، من دون الانتباه إلى تاريخها وحضارتها وظروفها الاجتماعية والاقتصادية،ومحاولة المزج بين الأنماط الحديثة في العمران

والبناء مع النمط القديم والتراث الحضاري، وهذا يخلق تشويها وعدم انسجام بين القديم والمعاصر"[1].

أما عملية الصيانة والترميم للمحافظة على هذه الآثار فتتطلب معرفة تلك الآثار وأهميتها، والتأثيرات التي طرأت عليها عبر السنين الطويلة، على نحو ما يطالب به المرمم الإيطالي الشهير الدكتور " دي كاجياني" من ضرورة دراسة الأثر المراد ترميمه دراسة كاملة من كل النواحي، قبل البداية في العمل الترميمي لتحديد الأساليب المناسبة والمواد الملائمة التي يمكن استخدامها في ترميم الأثر وصيانته"[2]

وتبدو أهمية ذلك حتى يعرف القائمون بالترميم كيف يتعاملون ـ في نسق جماعي ـ معا ، سواء كانوا من رجال التاريخ والآثار، أو من رجال العلوم والهندسة، أو الكيمياء والفنون المختلفة ، كما يجب أن يعرفوا كذلك كيف يتعاملون

---

(١) الملامح الحضارية المعمارية الإسلامية في المدن العربية، الفصل الثاني "دراسة المشكلات والصعوبات التي تواجه عمليات الحماية والحفاظ على التراث المعماري الإسلامي"، د. محمد الصالح عبد القادر، بحث منشور ضمن أبحاث عمليات الحماية والحفاظ على التراث المعماري الإسلامي"، ضمن أبحاث كتاب بعنوان: الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي، المعهد العربي لإنماء المدن، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٩م، ص ٣٠٧ – ٣٠٨ .

(٢) د. محمد عبدالله الحماد ، بحث سابق، ص ٧٦، ص٨٠ .

مع الأثر نفسه في خطوات الترميم سواء كان ذلـك في معالجـة معمارية أو هندسـية إنـشائية، أو كيميائيـة أو فنيـة تتـدخل في تركيب المواد للصيانة مع توفير الظروف الملائمة للأثـر نفـسه، حتى نـضمن سـلامته ، وتحقيـق البيئـة الملائمـة التـي تناسـبه وتعمل على إظهار الأثر وقيمتـه الدينيـة أو محتوياتـه الفكريـة والفنية والحضارية.

وتشكل العناصر الفنية والدينية عـاملا ثقافيـا أساسـيا في صنع الحضارة وبلورتها، وهي معطيات تتمسك بهـا الأجيـال وتتناقلها جيلا بعد جيل، بل إن الفنون والمعتقدات هي الأكثر تعبيراً ودلالة على الانتماء الحضاري للناس في هذا العالم.

تجدر الإشارة كذلك إلى أنه لا يمكن أن يكون ترميم الأثر هو نهاية المطاف بالنسبة إلى صيانة الآثـار الإسـلامية خاصـة ، والآثار الأخرى عامة، "ولكن الترميم يجب أن تعقبه خطوات أخرى مثل دوام الـصيانة ، وحمايـة الأثـر، ووضـعه في المكـان المناسب له، أو البيئة الخاصة به، إن كان من الآثار الخفيفة التي يمكن أن تنقل. أما المباني الكبيرة كالمساجد والمواقع التي تعتبر من أهم الآثار التاريخية، فلا يصح أن ندخل عليها ما يسيء إلى الجو العام للبيئة الخاصة بها، أو ما يسبب لها التلوث أو التغيـير

في الشكل بما يفسد منظرها أو يشوه عناصرها، ومن ثم يقلل من قيمتها التراثية الجمالية".

"وتمثل معطيات الكشف الشامل عن أشكال العمارة وأنواع التعمير في المناطق التاريخية في مدن العالم العربي والإسلامي المنطلق الأساس للحصول على المعلومات الضرورية لتطوير الدراسات في هذا المجال"[1]، إن نحن أردنا حقا الاهتمام بتراثنا الحضاري في مجال العمارة وتخطيط المدن وإنقاذها بالإنجاز الفاعل.

تدابير وقائية لحماية الآثار:

ويدخل ضمن واجبات حماية المباني التراثية أيضا "إحاطتها بالبيئة المعمارية المناسبة، وعدم السماح للعمائر الحديثة بتشويه هذه البيئة، سواء بالتصاقها أو بارتفاعها المفرط، مما يذهب بالكثير من مكانة المبنى التراثي ومزاياه"[2]

---

(١) التراث الحضاري والمعماري العربي الإسلامي، مناهج دراسته وطرق صونه، د. محمد الباهي، بحث منشور ضمن كتاب المعهد العربي لإنماء المدن، مرجع سابق، ص ٤٧٢ – ٤٧٣

(٢) صيانة وترميم الآثار، الدكتور عبد القادر الريحاوي، بحث منشور ضمن كتاب: المعهد العربي لإنماء المدن، مرجع سابق، ص١٥٠

وهناك إجراءات أخرى لابد منها لإحكام قضية حماية التراث المعماري والمساعدة على إنقاذه عند الضرورة أو صيانته وترميمه، وتشمل هذه الإجراءات إحصاء هذا التراث وتسجيله حسب الأصول، بعد إعداد ملف لكل مبنى يضم وصفا دقيقا لعناصره، ودراسة تاريخه ومخططات هندسته وصوراً فوتوغرافية لسائر أجزائه وعناصره المعمارية والزخرفية.

ولابد ـ في مضمار حماية التراث المعماري ـ من استخدام المبنى التاريخي بأسلوب علمي، وليس بطريقة الاستثمار العشوائي الذي قد يلحق به الضرر في كثير من الأحيان. كما يؤدي في نهاية المطاف إلى اندثاره وزواله، كما حدث لكثير من البيوت والقصور والحمامات والبيمارستانات في العالم الإسلامي"[1]

وهكذا نجد أن العناية بالأثر الإسلامي، وخاصة المساجد، يجب ألا تنحصر في الأثر ذاته، وإنما يجب أن تمتد إلى البيئة المحيطة به لإبرازه في صورة لائقة ومشرفة، وإمكان استعماله بعد ترميمه فيما أنشئ من أجله، وخاصة في مباني المساجد التي يجب تعميرها ولا يجوز هدمها بحال من الأحوال.

---

(١) د. عبدالقادر الريحاوي، البحث نفسه، ص١٥٦ – ١٥٧ .

إن قضية المحافظة على التراث المعماري لشعب ما عند تخطيط المدن أو إعادة تخطيطها من أهم المشكلات التي شغلت - ولا تزال تشغل المعنيين بهذا الموضوع.

وإن ما يجب مواجهته - في مرحلتنا الحالية - للتخطيط هو كيف نستطيع التوفيق بين متطلبات الحياة العصرية والحفاظ على ملامح معمارية وتخطيطية ذات طابع عربي يحفظ لمدننا قيمتها التاريخية والثقافية. ويأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية التي أوحت إلى أسلافنا ببعض ملامح ذلك التراث الذي لا تزال أسباب بنائه قائمة بطريقة لا تؤثر في الجانب الوظيفي لكل منها، "ولذا فإننا في حاجة ماسة إلى بحوث ودراسات تهدف إلى تقييم مدى الترابط والانسجام بين مجتمعنا العربي والبيئة المعمارية التي يعين فيها"[1] ذلك أن هدفنا من الحفاظ على تراثنا المعماري ليس مجرد العناية والترميم لبعض المباني ذات الصبغة التاريخية فقط، وإنما تطوير هذا التراث المعماري والثقافي بما يتناسب والوظيفة الحالية التي يجب أن يقوم بها.

---

(١) الدكتور محسن زهران بحث الحفاظ على التراث الحضاري في التخطيط الشامل لمدينة الإسكندرية حتى عام ٢٠٠٥م، ص٤٣٨ وما بعدها.

جامعة الدول العربية والعناية بالآثار :

تجدر الإشارة إلى أن موضوع الآثـار العربيـة والإسـلامية بدأت دراسته والعناية به تحـت مظلـة الجامعـة العربيـة في أول مؤتمر قومي للآثار في البلاد العربيـة،وذلك منـذ نحـو نـصف قرن من الزمان.

وقد اتخذت أساليب الحماية والمحافظة على الآثـار والمواقـع التاريخية أشكالا وصوراً متعددة، ومرت بظـروف كثـيرة خـلال العقود الماضية كما فصلنا من قبل، حتى خرج العلماء والبـاحثون بتسميات جديدة تجمع ما تفرق من أساليب المحافظة على المواقع الأثرية والمعالم التاريخية وإدارتها تحت مسمى واحـد مثـل: إدارة المـــصادر الثقافيـــة. (Cultural/resource/management) أو إدارة المصادر التراثية : (heritaje/resource/manajement) على نحـو مـا تفصله البحوث المنـشورة في كتـاب " المـؤتمر الـسادس عـشر للآثار والتراث الحضاري"[1]

---

(١) انظـر للمزيـد والتفـصيل كتـاب: المـؤتمر الـسادس عـشر للآثـار والـتراث الحضاري (١٤- ١٥ مارس ٢٠٠٢)، إعداد وتحرير ومراجعة: السيد أحمد المخزنجـي وآخـرين، طبعـة المجلـس الـوطني للثقافـة والفنـون والآداب بالكويت، (جزءان)

إن الاهتمام العالمي بالتراث وحمايته وما يرتبط بـه أدى إلى إقامة مؤسسات وطنية ودولية تتـولى الاهـتمام بـذلك الـتراث وحمايته ورعايته، خاصة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانيـة، حيث قامت منظمة هيئة الأمم المتحدة والمـنظمات المتخصـصة المتنوعة المتفرعة عنها، مثل منظمة اليونسكو التي ساعدت على إنشاء هيئات تهتم بحماية المباني التاريخية والمواقع الأثريـة مثـل (TCOM) بالمركز الدولي لحمايـة الممتلكـات الثقافيـة وترميمهـا و(الأيكروم)(CCROM) بروما.

وقد اهتمـت البحـوث والدراسـات المقدمـة "للمـؤتمر" بالحـديث عـن المـدن التاريخيـة والآثـار الدينيـة والإسـلامية (كالجامع الأموي الكبير) بدمشق والموانى البحرية التاريخيـة في المملكة العربية السعودية، ومشروع المنتزه الأثري لمدينة الـدار البيـضاء بالمملكـة المغربيـة، وإدارة وحمايـة المواقـع الأثريـة والتاريخية في السودان، وفي الجماهيرية العربيـة الليبيـة، وأيـضا المواقع الأثرية الغارقة بالإسكندرية وطرق حمايتها في جمهورية مصر العربية، وترميم المباني التاريخية بالكويت وصيانتها.

وقد أولى المؤتمر كل هذه الموضوعات اهتمامه مـن خـلال تلك الندوة التي عقدت بدولة الكويـت في الفـترة مـن (١٠-

١٤ مــارس – آذار – ٢٠٠٢م) والتــي شــهدت فعالياتهــا حــوارات ومناقــشات مثمــرة بــين البــاحثين والأكــاديميين المشاركين في محورها الرئيس، وهو ما يدل على أن العناية بتراثنا العربي الحضاري والإسلامي أمر يشغل بال الأثريين والمهتمين بهذا التراث وحمايته وحفظه مـن الانـدثار أو التغيـير لمـصلحة الأجيال القادمة.

خلاصة البحث :

لقد ناقش البحث – عـلى امتـداد صـفحاته ومـن خـلال فـصوله الأربعـة – العديـد مـن القـضايا المتعلقـة بالحـضارة الإسلامية ووسطيتها وموقفها من الآخر، وباستطاعة القـارئ الخروج بجملة أمور مهمة تتعلق بموضوعه، وهو ما نوجزه في النقاط التالية:

- إن ارتباط الحضارة بالدين سمة مميزة لحضارة الإسـلام، لا تشاركها فيه أيـة عقيـدة أخـرى سـماوية كانـت أو بـشرية، وذلك لما تمثله الحضارة من قـيم خلقيـة تتمثـل في العقيـدة وقوة الإيمان بها وتأثيرها في النفس الإنسانية، كما أن المـنهج الحضاري لا يقف عند حدود العقل فحسب، وإنـما يعتمـد الوجدان والشعور في استيعابه للمنجزات الحـضارية التـي تعود بالنفع والفائدة على الإنسان في هذا العالم.

- إن الكيان الحضاري يقوم على أربع قواعد هي : الإيمانية/ الخلقية، والجمالية/ الفنية، والتقنية الصناعية، والثقافية العرفانية.

- إن الحديث عن حضارة الإسلام الوسطية ليس حديثاً من قبيل التغني بأمجاد الماضي، وإنما حضارة الإسلام حضارة معاصرة دائماً، وذلك لما تحمله في ذاتيتها من عناصر القوة والأصالة المستمدة من سمات هذا الدين الحنيف الذي يحض- باستمرار - على النظر والتأمل والتفكر في ملكوت الله ﷻ، ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۞ هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[1]

- لم تكن الفتوحات الإسلامية غزواً ولا استغلالاً للأمم والشعوب، لكنها استهدفت إفساح المجال أمام هؤلاء الغربيين وتمكينهم من معرفة هذا الدين الحنيف وممارسة قيمه الخلقية والاستفادة منها على أوسع نطاق، وهو ما تمثل في دخول عدد كبير من أفراد تلك الشعوب والأقوام في دين الله أفواجا، وعاشوا تحت لواء دولة الإسلام العالمية التي وسعت كثيراً من الثقافات والحضارات وتأثرت بها في

(١) سورة آل عمران، الآيتان / ١٣٧ ، ١٣٨

كثير من المجالات، وشملت العديد من الحضارات السابقة عليها في الهند وبلاد فارس، وشمال إفريقيا، وذلك بفضل تشجيع حركة الترجمة وتبادل المعارف والعلوم.

- يؤكد البحث أن الوسطية هي سمة من أبرز الخصائص التي يتميز بها الإسلام، وأنها تعني - إلى جانب ذلك - معاني الخير والعدل والرفعة والمكانة العلية.
- إن انعكاس وسطية الإسلام على الثقافة العربية واضح وجلي ، فقد أكسبها المرونة في حوارها مع الثقافات الأخرى، نظراً إلى الثقة الكبيرة في مصادرها الإسلامية التي تساير التطور والارتقاء وتستوعبهما معاً، وتسمح بهما في كل زمان ومكان.
- إن الأمة المسلمة - كما هو معروف وثابت - ليست أسيرة تاريخ أو ماضٍ بعينه، ولكنها تتمتع بالسيرة الصحيحة التي تمثل أنموذج الاقتداء والأسوة الحسنة المسددة بالوحي الإلهي، والمؤيدة بالسنة النبوية الشريفة التي تجسد أحد المعايير التطبيقية لتقويم حركة التاريخ الإسلامي.
- انطلقت الحضارة الإسلامية - ذات السمة الوسطية - من دين حق وعقيدة واضحة ووحي من الله سبحانه وتعالى، مما صبغها بصبغة التميُّز عن بقية الحضارات. ويأتي في مقدمة

تلك السمات المميزة لحضارتنا الإسلامية قيامها بالتوفيق بين مطالب الحياة الدنيا للإنسان في هذا الوجود ومطالب الحياة الآخرة، تلك التي تحقق الاطمئنان النفسي والوجداني الذي يحقق السعادة للإنسان المسلم في هذا العالم.

- بالنسبة إلى موقف الحضارة الإسلامية من الآخر، لم تطرح قضية تحديد طبيعة العلاقة بين الإسلام والآخر ممثلاً في (الغرب) المغاير أو المختلف، إلا في نهاية القرن السابع عشر للميلاد، وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام هو الذي أتاح لغير المسلمين الذين يعيشون في كنفه جواً من الحرية والتسامح والعدالة لا يوجد له نظير في أية حضارة أو نظم سياسية أخرى، مما جعلهم يقبلون على الإسهام في ذلك النشاط الحضاري بنفوس مطمئنة وعقول واعية متفتحة لا يطمسها التعصب الأعمى ولا الهوى الجامح!

ولهذا نجد أن العناية بالأثر الإسلامي وخاصة المساجد، يجب ألا تنحصر في الاهتمام بالأثر فحسب، وإنما يجب أن تمتد تلك العناية إلى البيئة المحيطة به لإبرازه بصورة لائقة ومشرفة بحيث يمكن الانتفاع به بعد ترميمه فيما أنشئ من أجله، وخاصة مباني المساجد التي يجب تعميرها ولا يجوز هدمها بحال من الأحوال.

ومما تجدر الإشارة إليه هنـا أن الإسـلام يعـترف بـالآخر، وبقبوله، وبشروط متساوية في الخلق والنشأة، دون أن يحدد هوية الآخر أو نمط تفكيره أو انتماءه.. والمطلوب منا – كمثقفين عرب ومسلمين – هو ألا ننبهر بالآخر أو نستسلم له أو نذوب فيه، كما لا ينبغي أن نرفضه أو نقاطعه، بل يجب أن نعترف بـه وبحقـه في الوجود والتعبير عن ذاته كما هو، لا كما نريد نحن، وأن نأخذ منه مـا يفيـدنا دون أن نفقـد جـذورنا وأصـالتنا وهويتنـا العربيـة والإسلامية، بحيث يجـري ذلـك في حـوار مفتـوح ودائـم بـين الثقافـات، ويـسمح كـذلك باسـتيعاب المنجـزات الحـضارية والإنسانية بين البشر في هذا العالم المحيط بنا.

- لقد كان للثقافة الإسلامية – على مدى عصور ازدهارها – فضل السبق في دراسة عقيدة الآخر دراسة علمية منهجية، قبل أن تعرفها أوروبا الحديثة بعشرة قرون، وهـذا هـو مـا أقر به كثيرون من المستشرقين.

- إن أهم متطلبات الحفاظ على تراثنا الحـضاري الإسـلامي تتمثل في إيجاد وعي عـام للحفـاظ عليـه سـواء مـن قبـل الأفراد والمجتمع، أو من قبل مؤسسات الدولـة.. ويعتـبر من التراث كل ما شـيده الأجـداد مـن الحـضارة في المـدن وخارجها من عمائر دينية كالمساجد ودور العلـم والزوايـا

والخانقات والرباطات والنكايا والحمامات والأسبلة ... إلى آخره.

وتجدر الإشارة إلى أن بيوت الله ﷻ أو المساجد التي بنيت لعبادة رب العالمين تعتبر من المباني الأثرية التي يجب المحافظة عليها وتعميرها، فهي التي تربط بين عمارة الماضي القديم الذي عاش فيه أجدادنا والحاضر الذي نحيا فيه، والمستقبل الذي سيعيشه أبناؤنا.

- علينا أن ندرك أن أمتنا العربية والإسلامية تواجه - الآن - تحديات كبيرة من أجل الحفاظ على تراثها الحضاري المعماري، الذي كادت تفقد فيه هويتها الإسلامية بسبب موجات التغريب والتغيرات الجذرية في البيئة العمرانية الإسلامية التي هي نتاج للتراث الإسلامي الخالد!

قائمـــة المـراجــع

أولاً: الكتب:

١ - الأسس الجمالية في النقد، عـرض وتفـسير ومقارنـة، تـأليف: عـز الــدين إســماعيل، مطبعــة الاعــتماد ، القــاهرة، الطبعــة الأولى، ١٩٥٥م.

٢- المستشرقون والإسـلام، تـأليف: زكريـا هاشـم زكريـا، المجلـس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م

٣- أوروبا والإسلام، للدكتور عبـد الحلـيم محمـود، مطـابع الأهـرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٣م

٤ - أدب التاريخ عند العرب، (الجزء الأول) - فكرة التـاريخ: نـشأتها وتطورها، للدكتور عفـت الـشرقاوي، النـاشر: مكتبـة الـشباب، القاهرة، ١٩٧٦

٥ - أسس التقـدم عنـد مفكـري الإسـلام في العـالم العـربي الحـديث، للدكتور فهمي جـدعان، المؤسـسة العربيـة للدراسـات والنـشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م

٦ - القرآن .. ونظرية الفن، تأليف : حـسين عـلي محمـد، كتـاب آتـون (٢)، دار آتون، القاهرة ، ١٩٧٩م

٧- الملاحة وعلوم البحـار عنـد العـرب، للـدكتور أنـور عبـدالعليم، سلسلة (عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنـون والآداب، الكويت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م

٨- التصوف الإسلامي، أصوله ومحاذيره، تأليف: عبدالعزيز سيد الأهل، سلسلة دراسات في الإسلام – العدد/ ٢٢٩، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م
٩- القرآن والنظر العقلي ، تأليف : فاطمة إسماعيل محمد ، سلسلة الرسائل الجامعية (٧) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
١٠- الأيديولوجية العربية المعاصرة، عبدالله العروي، ترجمة محمد عيتاني، دار الحقيقة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨١م
١١- المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، للدكتور محمود حمدي زقزوق، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م
١٢- الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، (جزءان) للدكتور محمد الكتاني، دار الثقافة – الدار البيضاء – المملكة المغربية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م
١٣- السُنَّة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين - مع مصطلح الحديث - للدكتور رءوف شلبي، دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م
١٤- الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم، تأليف: محمد عبدالواحد حجازي، كتاب الهلال، القاهرة، ١٩٨٣م
١٥- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، للدكتور محمود حمدي زقزوق، كتاب الأمة (٥) رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية – قطر – الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣م

١٦- الإسلام ومشكلات الحضارة، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية الثامنة، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م
١٧- المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، للدكتور عجيل جاسم النشمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م
١٨- الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللاواعي في الذات العربية، للدكتور علي زيعور، سلسلة التحليل النفسي والأناس للذات العربية (٢)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م
١٩- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، للدكتور محسن عبدالحميد، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م
٢٠- أزمة المثقفين تجاه الإسلام، للدكتور محسن عبدالحميد، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م
٢١- ابن قيم الجوزية - عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف، للدكتور عبدالعظيم عبدالسلام شرف الدين ، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م
٢٢- أدب الاختلاف في الإسلام، للدكتور طه جابر فياض العلواني، كتاب الأمة (٩) رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م

٢٣- المنهجية العلمية في التثقيف الذاتي، للدكتور عبدالقادر الشيخلي، الموسوعة الصغيرة (١٦٠)، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد - العراق - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٢٤- الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ، عباس محمود العقاد، (المكتبة الثقافية) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م

٢٥- النقود العربية الإسلامية ودورها الحضاري والإعلامي، للدكتور محمد باقر الحسيني، الموسوعة الصغيرة، (١٦٨) ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر - بغداد - العراق، ١٩٨٥م

٢٦- آراء ودراسات في الفكر القومي، مجموعة كتاب، كتاب العربي (٨) الكويت، ١٩٨٥م

٢٧- القيم الحضارية في رسالة الإسلام، للدكتور محمد فتحي عثمان، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة - السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٢٨- المعجم الوسيط (مجلدان)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م

٢٩- اللسان العربي والإسلام، معاً في معركة المواجهة، للدكتور السيد رزق الطويل، (دعوة الحق) العدد / ٦٠، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م

٣٠- الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام، للدكتور يحيى شامي، دار الفكر اللبناني، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٦

٣١- الطب عند العرب، تأليف: حنيفة الخطيب، الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م

٣٢- المعتزلة والفكر الحر، للدكتور عادل العوا، الناشر: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م
٣٣- الفكر المنهجي عند المحدثين، للدكتور همام عبدالرحيم سعيد، كتاب الأمة العدد (١٦) رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر - الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
٣٤- الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغزاء، للدكتور عبدالمنعم النمر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م
٣٥- العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، تأليف: ب. ديكسون، ترجمة شعبة الترجمة باليونسكو، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
٣٦- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، للدكتور توفيق يوسف الواعي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
٣٧- القومية العربية والإسلام (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية) مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م
٣٨- الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند (٩٢ - ٩٦ هـ - ٧١١ - ٧١٥م) للدكتور سعد محمد حذيفة الغامدي، حوليات كلية الآداب العدد (٩) الرسالة (٥٢)، جامعة الكويت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م
٣٩- الأسطورة عند العرب في الجاهلية، للدكتور حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٤٠- المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، للدكتور علي حسني الخربوطلي، سلسلة (تاريخ المصريين) ١٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م

٤١- الغزو الفكري.. وهم.. أم حقيقة؟ للدكتور محمد عمارة، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية – الأزهر – طبع بمطابع روزاليوسف، القاهرة ، ١٩٨٨م.

٤٢- العربية لغة العلوم والتقنية، للدكتور عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م

٤٣- المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، تأليف : للدكتور عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩م

٤٤- المجتمع الإسلامي والغرب، تأليف: هاملتون جب وهارولد بووين، ترجمة: الدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى، (جزءان) سلسلة (تاريخ المصريين) (٢٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، رقم الجزء الثاني (٣٦) سنة ١٩٩٠م

٤٥- الإسلام في معركة الحضارة، تأليف: منير شفيق ، دار القلم، الكويت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤٦- الحوار القومي – الديني – أوراق عمل ومناقشات الندوة الفكرية – مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٤٧- الإنسان بين الجوهر والمظهر، تأليف: إريك فروم، ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٤٨- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، للدكتور عبدالعظيم محمود الديب، كتاب الأمة (٢٧) رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية – قطر – الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م
٤٩- المدخل إلى الثقافة الإسلامية، للدكتور محمد رشاد سالم، دار القلم، الكويت، الطبعة العاشرة، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠م
٥٠- أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، للدكتور أحمد محمد كنعان، كتاب الأمة (٢٦) رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م
٥١- الله ليس كما يزعم الغرب، تفنيد ألف حُكم وحكم منحاز ضد العرب، تأليف المستشرقة زيغريد هونكه، ترجمة: نوال حنبلي، الناشر: دار النشر الألمانية: هوريتسونت Horizonte – الطبعة الثالثة ١٩٩١م
٥٢- التفسير الإسلامي للتاريخ، للدكتور عماد الدين خليل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩١م
٥٣- المنهج في تاريخ العلوم عند العرب، للدكتور حسن عاصي، دار المدائن للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩١م
٥٤- الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم – جذورها ومسارها، للدكتور علي المنتصر الكناني، كتاب الأمة (٣١)، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م

٥٥- الخطاب العربي المعاصر – قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة – ١٩٧٨ – ١٩٨٧ – تأليف : فادي إسماعيل ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية (٣) ، الناشر/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م

٥٦- الإسلام والتحديات الجديدة، للدكتور محمد عمارة، سلسلة معارف إنسانية (٤)، دبي، الإمارات، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م

٥٧- الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع – الدواعي والإمكان، تأليف: منصور زويد المطيري، كتاب الأمة العدد (٣٣) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر، الطبعة الأولى ١٩٩٣م

٥٨- المسلمون وكتابة التاريخ – دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، للدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية (٦) الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م

٥٩- المعتقدات الدينية لدى الشعوب، المشرف على التحرير: جفري بارندر، ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح ، مراجعة: الدكتور عبدالغفار مكاوي، (عالم المعرفة) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٣ – هـ – ١٩٩٣م

٦٠- التصوف في الإسلام – منابعه وأطواره، تأليف: محمد الصادق عرجون، الناشر: دار القارئ العربي، القاهرة، ١٩٩٣م

٦١- الإسلام وضرورة التحديث – نحو إحداث تغيير في التقاليد الثقافية، تأليف: فضل الرحمن – ترجمة : إبراهيم العريس، الناشر / دار الساقي، الطبعة العربية (الأولى) ١٩٩٣م

٦٢- العقل العربي وإعادة التشكيل، للدكتور عبد الرحمن الطريري، كتاب الأمة، العدد (٣٥) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م

٦٣- الغزو الفكري في التصور الإسلامي، للدكتور أحمد عبدالرحيم السايح، كتيب مجلة الأزهر - جمادي الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م

٦٤- انتفاضة العقل العربي، للدكتور عبدالرحمن مرحبا، منشورات عويدات، بيروت- باريس، الطبعة الأولى ١٩٩٤م

٦٥- المدرسة الفلسفية في الإسلام بين المشائية والإشراقية، للدكتور محمد إبراهيم الفيومي، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م

٦٦- الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، تأليف الدكتور محمد سيد محمد ، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

٦٧- المنهج النبوي والتغيير الحضاري، تأليف: برغوث عبدالعزيز مبارك، كتاب الأمة (٤٣)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر - الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م

٦٨- المستقبل للإسلام، للدكتور أحمد علي الإمام، كتاب الأمة (٤٦) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر - الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م

٦٩- الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية، مقدمة في أصول صناعة التاريخ والمعرفة التاريخية، مقدمة في أصول صناعة التاريخ

العربي، للدكتور عزيز العظمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م
٧٠- الإسلام وصراع الحضارات، للدكتور أحمد القديدي، كتاب الأمة، العدد (٤٤) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر – ١٤١٠هـ – ١٩٩٥م
٧١- الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، للدكتور شوكت محمد عليّان، دار الشوّاف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م
٧٢- الفكر الإسلامي – قراءة علمية، للدكتور محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، الناشر: مركز الإنماء القومي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية ١٩٩٦م
٧٣- التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، للدكتور عبدالحليم عويس، كتاب الأمة العدد (٥٠) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م
٧٤- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر، للدكتور يوسف القرضاوي، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م
٧٥- النقد المنهجي عند العرب – ومنهج البحث في الأدب واللغة، (مترجم)، للدكتور محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦م
٧٦- أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية، تأليف: منصور محمود مجاهد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م

٧٧- البنية الجمالية في الفكر العربي – الإسلامي، للدكتور سعد الـدين كليب، سلسلة دراسات فكرية (٣٥) منـشورات وزارة الثقافـة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٧م
٧٨- المنظور الحضاري في التدوين التـاريخي عنـد العـرب، للـدكتور سـالم أحمـد محـل، كتـاب الأمـة، العـدد (٦٠) وزارة الأوقـاف والـشؤون الإســلامية – قطـر – الطبعـة الأولى، ١٤١٨هـــ- ١٩٩٧م
٧٩- النقد الأدبي الحديث، للدكتور محمد غنيمي هلال، نهضة مـصر، القاهرة، ١٩٩٧م
٨٠- أدب العرب في عصر الجاهلية، للـدكتور حـسين حـاج حـسن، المؤسسة العربية للدراسـات والنـشر، بـيروت، الطبعـة الثانيـة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م
٨١- الأدب المقـارن، للـدكتور محمـد غنيمـي هـلال، نهـضة مـصر، القاهرة، ١٩٩٨م
٨٢- التفسير النفسي للأدب، للدكتور عز الدين إسماعيل، دار العـودة ودار الثقافة، بيروت (د.ت)
٨٣- الاستشراق.. أهدافه ووسـائله - دراسـة تطبيقيـة حـول مـنهج الغربيين في دراسة ابن خلدون- للدكتور محمد فتح الله الزيادي، توزيع دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م
٨٤- الضمير والتشريع – العقلية المدنيـة والحقـوق الحديثـة، تـأليف: عياض بن عاشور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م

٨٥- الدين والعقل الحديث، تـأليف درولترستيـسن، ترجمـة وتعليـق وتقديم الدكتور إمام عبدالفتاح إمـام، النـاشر: مكتبـة مـدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م
٨٦- العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالميـة المعـاصرة، للـدكتور علاء طاهر، الناشر: مركز الدراسات العربي الأوروبي – بـاريس – طباعة دار بلال – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٨م
٨٧- الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد – للدكتور محمد أركون، ترجمـة وتعليق هاشـم صـالح، دار الـساقي، بـيروت، الطبعـة الثالثـة، ١٩٩٨م
٨٨- العقل والحرية، آراء وبحوث، تأليف فتحي التريكي، منشورات "تبر الزمان" – الجمهورية التونسية، ١٩٩٨م
٨٩- الله – كتـاب في نـشأة العقيـدة الإلهيـة، تـأليف: عبـاس محمـود العقاد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٩٨م
٩٠- إعمال العقل – من النظرة التجزيئية إلى الرؤية التكاملية، تأليف: لؤي صافي، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م
٩١- الأسس الفلسفية للعلمانية، عادل ضاهر، دار الـساقي، بـيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م
٩٢- العلمانيـة مـن منظـور مختلـف، للـدكتور عزيـز العظمـة، مركـز دراسات الوحـدة العربيـة، بـيروت – لبنـان – الطبعـة الثانيـة، ١٩٩٨م
٩٣- الاجتهـاد المقاصـدي - حجيتـه - ضـوابطه - مجالاتـه (الجـزء الأول) للدكتور نـور الـدين بـن مختـار الخـادمي، كتـاب الأمـة

(٦٥)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية– قطر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م
٩٤- المستشرقون والإسلام، محمد قطب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م
٩٥- الشرق الأدنى – مجتمعه وثقافته – تحرير: ت. كويلرينج، ترجمة عبدالرحمن محمد أيوب، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م
٩٦- المثقف وقضايا الدين والمجتمع، سلسلة آفاق في البناء الحضاري،(٥) تأليف: فيصل العوامي، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م
٩٧- العلمانية وهم.. وسراب، جمعية الإصلاح الاجتماعي،(١) سلسلة من رسائل الجمعية إلى شباب ودعاة اليوم، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م
٩٨- أثر الثقافة العربية في الأدب الإسباني – (الجزء الأول) تأليف الدكتور لوش لوبليث – بارالت، ترجمة : الدكتور حامد يوسف أبو أحمد، الدكتور علي عبدالرءوف البمبي، كتاب الرياض (٥٤) مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م
٩٩- الإسلام حرية وحوار، تأليف: محمد الطالب، ترجمة: حسني زينة، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
١٠٠- الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري (أنموذج مالك بن بني) تأليف: بدران بن مسعود بن الحسن، كتاب الأمة، العدد (٧٣)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩م

١٠١- الثقافة العربية والمرجعيَّات المستعارة – تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة، للدكتور عبدالله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م
١٠٢- المصطلح خيار لغوي .. وسمة حضارية، تأليف : سعيد شبار ، كتاب الأمة العدد (٧٨)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
١٠٣- الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة، للدكتور محمد شحرور، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة السادسة، ٢٠٠٠م
١٠٤- الثقافة الإسلامية – ثقافة المسلم وتحديات العصر، للدكتور محمد أبو يحيى وآخرين، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان – الأردن – الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م
١٠٥- الوحي والقرآن والنبوة (في السيرة النبوية) (١) تأليف: الدكتور هشام جعيْط، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م
١٠٦- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار، تحرير : كاي حافظ، ترجمة صلاح محجوب إدريس، ومراجعة محمد خليفة حسن، (المشروع القومي للترجمة) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م
١٠٧- الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، محمد أركون وآخرون، ترجمة وإعداد هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

١٠٨- الإسلام ومشكلة الحضارة بين التعددية والصراع، للدكتور يحيى هاشم حسن، سلسلة دراسات التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل، الناشر: رابطة الجامعات الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، ٢٠٠٠م

١٠٩- النص والسلطة والحقيقة، إدارة المعرفة وإرادة الهيمنة، للدكتور نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠م.

١١٠- الممنوع والممتنع – نقد الذات المُفكرة، سلسلة النص والحقيقة، للدكتور علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م .

١١١- السياسة بين الحلال والحرام (أنتم أعلم بأمور دُنياكم) للدكتور: تركي الحمد، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م

١١٢- المسلمون والعولمة ، للأستاذ / محمد قطب ، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

١١٣- العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، تحرير الدكتور: أسامة أمين الخولي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م

١١٤- ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية (أربعون عاماً من ذكرياتي مع فكره التنويري) للدكتور محمد عاطف العراقي، الناشر: دار الرشاد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م

١١٥- الثقافة العربية في زمن العولمة، للدكتور أحمد مجدي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م

١١٦- أزمة الفكر العربي المعاصر، للدكتور على بوملحم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م

١١٧- الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط – منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، للدكتور: صفي علي محمد، سلسلة (تاريخ المصريين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م

١١٨- العلم العربي في حضارة الإسلام، للدكتور عبدالحميد صبرة، ترجمة د. عبدالله العمر، دار قرطاس للنشر، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م

١١٩- الحوار والصدام في الثقافة العربية، للدكتور حامد خليل، سلسلة دراسات المدى، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، دمشق ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م

١٢٠- الوسطية في القرآن الكريم، للدكتور علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الإمارات- الشارقة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م

١٢١- أوروبا والإسلام – صدام الثقافة والحداثة، هشام جعيط، دار الطليعة – بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م

١٢٢- المائة الأوائل، للدكتور مايكل هارت، ترجمة : خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة التاسعة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م

١٢٣- القرآن: من التفسير إلى تحليل الخطاب الديني، تأليف، الدكتور محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م
١٢٤- التصوف - حكمه وأركانه وخصال أهله، تأليف: عثمان السعيد الشرقاوي، الناشر: النسر الذهبي للطباعة، القاهرة، ٢٠٠١م
١٢٥- أسطورة الإطار - دفاع عن العلم والعقلانية، تأليف: كارل ر. بوبر، تحرير مارك أ.نوترنو، ترجمة د. يمنى طريف الخولي، سلسلة (عالم المعرفة) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠١م
١٢٦- العولمة في ميزان الإسلام، سلسلة من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي إلى شباب ودعاة اليوم، (٢) الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م
١٢٧- أزمة الإنسان العربي المعاصر، في ضوء إشكاليات الانفتاح والعولمة، تأليف: جابر علي خطاب، مطابع دار أخبار اليوم للصحافة، القاهرة - ٢٠٠١م
١٢٨- العقل الأخلاقي العربي - دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، سلسلة (نقد العقل العربي) للدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م
١٢٩- العصبية والدولة - معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، للدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة السابعة، ٢٠٠١م

١٣٠- الإسلام، أوروبا، الغرب، (رهانات المعنى وإرادات الهيمنة) للدكتور محمد أركون، ترجمة وإسهام: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م
١٣١- الإسلام في مرآة الغرب - محاولة جديدة في فهم الإسلام، تأليف: كارمن آرمسترونغ، ترجمة : محمد الجورا، الناشر: دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية - دمشق - الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م
١٣٢- الإسلام والغرب.. صراع في زمن العولمة، كتاب العربي (٤٩)، مجموعة من كتاب مجلة (العربي) الكويتية، الناشر: مجلة العربي، الكويت، الطبعة الأولى٢٠٠٢
١٣٣- إعراب القرآن وبيانه، تأليف: محيي الدين الدرويش، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سورية، الطبعة السابعة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م
١٣٤- المنهج الإسلامي في النقد الأدبي، للدكتور سيد عبدالرزاق، دار الفكر - دمشق- سورية ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م
١٣٥- إشكاليات العقل العربي - سلسلة نقد العقل العربي - تأليف: جورج طرابيشي، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م
١٣٦- إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية العربية المعاصرة، للدكتور عبيد بن عبدالله العمري، والدكتور عبدالقادر عبدالله عرابي، (كتاب الرياض) العدد (٩٩) مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

١٣٧- الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، عبدالله علي العليان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب – الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م

١٣٨- المستشرقون وخبز الشعير المذموم ومتفرقات، (بحث نقدي) للدكتور عباس علي السوسة، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة ، المملكة العربية السعودية، السنة السادسة، العدد١٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

١٣٩- الكتاب في العالم الإسلامي (الكلمة المكتوبة كوسيلة للاتصال في منطقة الشرق الأوسط) تحرير: جورج عطية، ترجمة د. عبدالستار الحلوجي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٣م

١٤٠- اتجاهات فلسفية معاصرة في بنية الثقافة الإسلامية، للدكتور عصمت نصار، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م

١٤١- الفكر العربي، علم الكلام، للدكتور حامد إبراهيم والدكتور عبدالحميد الصالح، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٢٣هـ – ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م

١٤٢- العلمانية والممانعة الإسلامية، (ومحاورات في النهضة والحداثة) تأليف: علي العميم، دار الساقي، بيروت ، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

١٤٣- الثقافة العربية المعاصرة – صراع الإحداثيات والمواقع، تأليف: إبراهيم محمود، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م

١٤٤- الإسلام.. وحوار الحضارات، سلسلة فكر المواجهة (٢)، إشراف الدكتور جعفر عبد السلام، رابطة الجامعات الإسلامية، جامعة الأزهر – القاهرة – الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .

١٤٥- الثقافة العربية في عصر العولمة ، للدكتور تركي الحمد، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م .

١٤٦- الصراع الثقافي والحوار الحضاري في فلسفة محمد إقبال، للدكتور عصمت نصَّار، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م .

١٤٧- العولمة وحوار الحضارات – صياغة عالم جديد، أعمال (المؤتمر الدولي الأول للحضارات المعاصرة) – جامعة عين شمس – مركز دراسة الحضارات المعاصرة- القاهرة – ٢٠٠٣م .

١٤٨- الإسلام وتجديد الوعي، للدكتور محمد إبراهيم الفيومي، سلسلة مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر الشريف، القاهرة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

١٤٩- الإسلام وعولمة الرأسمالية، للدكتور عبدالحفيظ بن عبدالرحيم محبوب، رابطة العالم الإسلامي، إدارة الشئون الثقافية والنشر، سلسلة (دعوة الحق) مكة المكرمة- العدد (٢٠٢) – ١٤٢٣ هـ

١٥٠- الإسلام والعولمة ، (سلسلة المواجهة الفكرية) رابطة الجامعات الإسلامية، جامعة الأزهر - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

١٥١- الإسلام كما تقدمه دعوة الإحياء الإسلامي ، تأليف: جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٤م .

ثانياً: المجلات والدوريات:

١٥٢- أزمة العلوم الإنسانية، بحث، للدكتور أحمد أبو زيد، مجلة عالم الفكر، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، العدد الأول، أبريل – يونيو – ١٩٧٠م

١٥٣- العلاقات بين العُلماء في العصر العباسي، دراسة عن القرن الثاني والثالث والرابع للهجرة، للدكتور وديع طه نجم، مجلة عالم الفكر، المجلد الأول، العدد الأول، أبريل – يونيو، ١٩٧٠م

١٥٤- الفكر واللغة، (عدد خاص) مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد الثاني، العدد الأول، أبريل – يونيو، ١٩٧١م

١٥٥- أبحاث المستشرقين في تاريخ العلوم عند العرب، بحث للدكتور عبدالرحمن بدوي، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد/ ٩/ العدد الأول، أبريل– يونيو–١٩٧٨

١٥٦- العلوم عند العرب، بحث للدكتور أحمد أبو زيد، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد/ ٩/ العدد الأول – أبريل – يونيو ١٩٧٨م

١٥٧- التجربة الإسلامية لمجموعة باحثين (عدد ممتاز) مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد العاشر – العدد الثاني – يوليو – أغسطس – سبتمبر،١٩٧٩ م

١٥٨- القرآن والسيرة النبوية، (عدد خاص) مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد / ١٢/ العدد الرابع، يناير – مارس ١٩٨٢م

١٥٩- الاستشراق والمستشرقون، مجلة المنهل (مجموعة كتاب) "عدد خاص"، دار المنهل للصحافة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، العدد ٤٧١، السنة٥٥، المجلد/ ٥٠ - رمضان - شوال - ١٤٠٩هـ - أبريل - مايو ١٩٨٩م

١٦٠- الحديث النبوي والقدسي، رواية ودراية، (عدد خاص) - (مجموعة كتاب)، مجلة المنهل، دار المنهل للصحافة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، العدد/ ٤٨٤/ المجلد (٥٢) - ربيع الآخر - جمادى الأولى، ١٤١١ هـ - أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٠م

١٦١- القرآن الكريم- الهدي والإعجاز، (عدد خاص) مجموعة كتَّاب، مجلة (المنهل)، جدة، المملكة العربية السعودية، العدد (٤٩١) المجلد (٥٣)، الربيعان ١٤١٢ هـ - سبتمبر - أكتوبر ١٩٩١م

١٦٢- الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري (مجموعة كتاب) "عدد خاص" مجلة المنهل، تصدرها دار المنهل للصحافة والنشر، العدد ٤٩٥، المجلد ٥٣، شوال ذو القعدة ١٤١٢هـ - أبريل - مايو ١٩٩٢م

١٦٣- المصطلح العلمي بين الثراء والإغناء، بحث للدكتور جلال شوقي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة السادسة عشرة - عدد مزدوج - (٤٢-٤٣) - جمادى الأولى ١٤١٢هـ - ربيع الثاني ١٤١٣هـ - كانون الثاني - كانون الأول - ١٩٩٢م

١٦٤- إشكالية اللغة العربية (عدد خاص) مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد/ ٢٨/ العدد الثالث – يناير – مارس ٢٠٠٠

١٦٥- المؤتمرات الاستشراقية الحديثة حول الإسلام والمسلمين، بحث للدكتور / مازن بن صلاح مطبقاني، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – يُصدرها مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت، السنة السادسة عشرة، العدد (٤٦) جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ – سبتمبر ٢٠٠١م

١٦٦- الآثار الثقافية للعولمة، للدكتور كريم أبو حلاوة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد/ ٢٩، العدد الثالث، يناير – مارس ٢٠٠١م

١٦٧- المحجة – عدد خاص عن (الدين والثقافة) يصدرها المعهد الإسلامي للمعارف الحكمية – مجلة فصلية تعنى بشئون الفكر الديني والفلسفة الإسلامية المعاصرة، العدد الثاني شوال – ١٤٢٢هـ – كانون الثاني – ٢٠٠٢م –

١٦٨- الخطاب العلماني العربي المعاصر: تاريخيته وبنيته الموضوعية، بحث للدكتور عبدالأمير زاهد، مجلة (المنهاج)، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، العدد(٢٧) خريف ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م

١٦٩- العلمانية والفكر الديني، بحث للدكتور همايون همتي، مجلة (المنهاج) – مركز الغدير للدراسات الإسلامية – بيروت – السنة السابعة – العدد (٢٦) – صيف – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م

١٧٠ – الحداثة والسياسة والثقافة.. كيف نعبر من الماضي إلى المستقبل؟ (مقال) للأستاذ/ السعيد الرجراجي، مجلة (الكلمة) منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث – لبنان – العدد (٣٦) السنة التاسعة – صيف ٢٠٠٢ – ١٤٢٣ هـ.

١٧١ – اللغة العربية وتحديات العولمة، بحث للدكتور سالم المعوش، مجلة (أوراق جامعية) تصدرها رابطة الأساتذة في الجامعة اللبنانية، السنة الحادية عشرة، العدد ٢٤، ٢٠٠٣م

١٧٢ – مجلة المورد – مجموعة أبحاث عن اللغة العربية، وإعرب القرآن، ونصوص محققة من كتاب (طبقات الشعراء) لدعبل الخزاعي ومجموعة باحثين، مجلة المورد، العراق، وزارة الإعلام، المجلد السادس، العدد الثاني، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

سيرة ذاتية للمؤلف

السيد أحمد المخزنجي ، وشهرته (**السيد المخزنجي**)

- من مواليد عام (١٩٥٧م) محافظة الشرقية، جمهورية مصر العربية
- حاصل على ليسانس في القانون من جامعة الزقازيق، عام ١٩٨٣م
- عضو اتحاد كتاب القاهرة ١٩٩١م.
- عضو نقابة الصحفيين القاهرة ١٩٩٢م.

الوظيفة الحالية

يعمل حاليا بالأمانة العامة للأوقاف، بدولة الكويت، (إدارة الإعلام)

الوظائف السابقة

- محرر صحفي بجريدة (المساء) دار الجمهورية للصحافة، القاهرة، من عام ١٩٨٥ ٢٠٠١م.
- عمل بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بدولة الكويت (إدارة البحوث والدراسات) لمدة ثلاث سنوات، (٢٠٠١ يونيو ٢٠٠٤).
- انتدب للعمل بالمكتب الإعلامي لديوان سمو ولي العهد، بدولة الكويت خلال عام ٢٠٠٦م.

الخبرات العلمية والمهنية

خبير تربوي (من الخارج) بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) تونس ١٩٩٧م

خبير ومستشار إعلامي بمؤسسة المستقبل للخدمات الإعلامية بالكويت عام ٢٠٠٥م

- له أبحاث ودراسات منشورة متنوعة.
- حصل على جوائز علمية وثقافية متنوعة .

المحتــويــات

الموضـــــــوع	الصفحة
مقـــــدمة	٧
الفصل الأول...	٣١-٦٧
معنى الوسطية ومفهوم الحضارة	٣١
(أ) معنى الوسطية لغةً.................................	٣١
(ب) معنى الوسطية في الشرع	٣٢
تعريف عام للثقافة	٣٦
تعريف الثقافة الإسلامية وخصائصها	٤٢
الفرق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات.	٤٦
مفهـوم الحضارة	٤٩
الفرق بين الثقافة والحضارة	٥١
التصور الإسلامي وأثره في وسطية الحضارة.	٥٥
– الربانيـة	٥٨
– الشمـول	٥٨
– التــوازن	٦٠
– الثبــات	٦٤

الموضـــــوع	الصفحة
- الإيجـابية	٦٥
- الـواقعية	٦٧
الفصل الثاني	
سـمات الحضارة الإسلامية الوسطية	٦٩-٩٥
تمهيد	٦٩
أولاً: سمة الوسطية	٧٤
ثانياً: التسامح الإسلامي ومعالم التقدم	٨٧
ثالثاً: الحضارة القدوة (النموذج)	٨٠
رابعـــاً: دعم الحركة العلمية	٨١
خامساً: حرية الفكر	٨٢
سادساً: حضارة خلقية	٨٣
سابعاً: حضارة إنسانية	٨٤
ثامـنـاً: حضارة إيمانية	٨٦
تاسعـاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٨٧
اللغة العربية وأهميتها للحضارة الإسلامية..... الوسطية.	٨٩
الفصل الثالث	
الحضارة الإسلامية.. وموقفها من الآخر	٩٧-١٢٨
دحض فكرة صراع الحضارات	١٠٠

الموضـــــــوع	الصفحة
المثقف العربي .. والآخر	١٠٣
الثقافة الإسلامية وموقفها من عقيدة الآخر	١١٠
نظرة المفكرين المسلمين المعاصرين إلى الآخر.....	١١٦
شهادة المفكرين الغربيين للفتح الإسلامي	١١٨
التطبيق العملي للإسلام في علاقته بالآخر	١٢٠
أزمتنا الحضارية المعاصرة.................................	١٢٧
الفصل الرابـــع	
تراثنا الحضاري .. كيف نحميه........................	١٢٩-١٥٠
مفهوم التراث الحضاري	١٣٠
العمارة والزخرفة الإسلامية....................	١٣٢
التراث المعماري وأنواعه	١٣٤
تحديات الحفاظ على التراث الحضاري...............	١٣٦
تدابير وقائية لحماية الآثار..................................	١٤٠
جامعة الدول العربية والعناية بالآثار	١٤٣
خـــــــــلاصة البحث	١٤٥-١٥٠
قائمـة المراجـــع	١٥١